الإمام علي السجاد عليه السلام ودوره في التربية وصلاح الأمة

الدكتور الشيخ
عماد الكاظمي
الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية – لندن
فرع العراق
emadalkadhimi@yahoo.com

مقدمة:

إنَّ التربية والإصلاح من أهم مقومات الشخصية الإنسانية، وهذا ما نراه في فطرته التي تبحث عن كُلِّ ما فيه من خير وصلاح، والشريعة الإسلامية المقدسة كان لها تأكيد كبير على الأخلاق والتربية من خلال الآيات المباركة والأحاديث الشريفة، فضلاً عن سيرة الأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام في المجتمع، وهذا ما نراه بأدنى تأمل لنصوص الشريعة المقدسة، والقرآن كان الإمام الذي يهدي مَنِ أتبعه وتمسك بتعاليمه، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[1] وغيرها من الآيات الشريفة.

وإنَّ السنة الشريفة قد تضمنت موروثًا كبيرًا وعظيمًا من الأحاديث الشريفة في هذا الباب من أبواب المعرفة الإنسانية عن طريق النبي والأئمة (صلوات الله عليهم)، وخصوصًا التربوية والإصلاحية التي كانوا يحدّثون بها الأمة، ويقومون بتربية أصحابهم عليها، لتكون منهجًا علميًا وعمليًا في ذلك، ومن أولئك الأئمة المهديين الذين كان له تراث عظيم في ذلك هو الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام الذي فاض تراثه بالمعارف التربوية والأخلاقية، وهذا ما يمكن رؤيته بأدنى تأمل في تراثه العلمي الكبير، الذي تضمنته أدعية الصحيفة السجادية، ورسالة الحقوق، وأحاديثه المختلفة، التي تؤكّد جميعها على مقام الإنسان ومنزلته في المنهج التربوي الإسلامي، ونحاول في هذه الصفحات أنْ نتناول حديثًا واحدًا من أحاديثه التربوية الشريفة ونبيِّنُ ما يتناوله في منهجه الإصلاحي للفرد والأمة، وبيان أهمية العمل بذلك على السلوك الفردي والجماعي، وحاولت في هذه الدراسة الجمع بين الرؤية القرآنية الخاصة في مجال التربية، والدراسات التربوية العامة، فضلاً عن قراءتي التي أراها، من خلال ما سيتم طرحه باختصار شديد في كُلِّ ما يتعلق بهذا الحديث الذي

يدور البحث حوله، وقد حاولت تقسيم البحث على فقرات ست قد تناولها الحديث، إذ كُلُّ فقرة فيها من الأهمية البالغة في تهذيب النفس الإنسانية وصلاحها، ونحن - حقيقة - بأمس الحاجة إلى مثل هذه القراءات لتراث الأئمة المعصومين عليهم السلام، بعد أنْ تعرضت الأمة إلى هجمات ثقافية مختلفة الاتجاهات، وهي بعيدة عن الثقافة الإسلامية، تحاول كُلَّ واحدة منها أنْ تثبت نجاحها من خلال تجاربها في المجتمع الإسلامي، وهذا من أشد وأصعب ما تتعرض له الأمة وأبناؤها، وما يستوجبُ على العلماء والمفكرين والباحثين في مثل هذا الحال من الاهتمام لذلك، والاعتناء به، فضلاً عن الجامعات والمؤسسات والمراكز العلمية؛ لأهمية الأخلاق والتربية في المجتمع، فإنْ ضاعت - لا سمح الله- فقد ضاع المجتمع، وأصبحت تلك التعاليم التربوية الموروثة تراثًا لا حياة له كغيره من تراث الأمم الذي يُحفظ في المتاحف، وخير خطوة عظيمة قامت بها الكلية الإسلامية الجامعة في النجف الأشرف هذا العام كما هو دأبها في كُلِّ عام من تسليط الضوء على حياة عظيم من عظماء البشرية، ومصلح من مصلحيها، وإمام من أئمتها لقراءة ما يتعلق به، وبتراثه الخالد، فكانت دعوتهم المباركة لإقامة هذا المؤتمر العلمي السنوي سبيلاً للباحثين في المشاركة ببحوثهم النافعة للمكتبة الإسلامية، ولأبناء الأمة خصوصًا، وللبشرية كُلِّها عمومًا، وسأحاول في بحثي أنْ أقدم شيئًا بسيطًا فيما ورد من تراث الإمام السجاد عليه السلام التربوي عسى أنْ تكون مشاركتي نافعة لي ولإخواني من بني البشر، في هذه المحاولة الثانية لقراءة تراثه التربوي الإصلاحي بعد أنْ وفقني الله تعالى في محاولة أولى سابقة في غير هذا المؤتمر، وأتقدم ببالغ شكري وثنائي إلى السادة القائمين على أعمال المؤتمر، وأسأل الله تعالى أنْ يتقبل منهم هذه الجهود العظيمة بأحسن قبوله، إنه سميع الدعاء.

تمهيد ـ أثر التربية في بناء الفرد والمجتمع.

إنَّ الإسلام في تشريعاته قد أعتنى كثيراً بتنظيم حياة الفرد والأسرة والمجتمع؛ لأنَّ الأول والثاني هم عماد بناء الثالث، فكان التشريع قد نظَّمَ جميع الجوانب التي يحتاجها الإنسان من كونه وحدة اجتماعية صغيرة، إلى كونه جزءً في تأسيس المجتمع، وهذه حقيقة يجب علينا بيانُها ووضْعُ نظامٍ معرفيٍّ لها، لإظهار تشريعات النظام الإسلامي في ذلك، إذ ترى كثيراً من الآيات المباركة قد تضمنت أختصاص خطابها إلى الفرد في أهمية أمتثاله للتشريع حفاظًا عليه من كُلِّ سوء وأنحراف، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[٢]،

وآيات أخرى متعددة قد حددت وظيفة الفرد في جميع مجالات الحياة المادية والمعنوية التي لها أثر في بنائه وتكوينه، كالإيمان، والأمانة، والصدق، والحب، والبر وغيرها من المفردات الأخلاقية التي لها أثر في بناء شخصيته، وتربيته تربية رصينة، وقد أكّدت الدراسات التربوية أهمية هذا البناء الأول الذي يتقوّم به المجتمع، فقالوا: ((إنَّ المجتمعَ وقوةَ بنيانه، ودرجةَ تقدُّمه وأزدهاره وتماسكه ترتبطُ بالصحة النفسية والاجتماعية للفرد، فالفردُ داخلُ المجتمع هو الأساسُ الذي يجبُ حمايتَهُ، وهو الهدفُ الذي يصيرُ إليه المجتمعُ، ولكي يكونَ الفردُ عضواً فاعلاً في تحقيقِ التقدُّمِ الاجتماعيِّ لا بُدَّ من الاهتمامِ بتنشئتِه الاجتماعية))[٣].

وفي مجال ما يتعلق بالأسرة وتحصينها مما يؤدي إلى ضياعها قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[٤]، فضلاً عن كثير من الآيات والروايات التي أكّدت ذلك من خلال تنظيم حياة الزوج والزوجة منذ زواجهما، وبيان الحقوق والواجبات المتبادلة بينهما، وأهمية تمسك كُلٍّ منهما بها لتنظيم الحياة، وإصلاحها، وكذلك ما يتعلق بالعلاقة بينهما مع الأولاد، وتعامل الأولاد معهما في جميع مراحل الحياة، وقد ضرب التشريع الإسلامي أروع الأمثلة في تنظيم تلك العلاقات، وما الآيات الواردة في بر الوالدين إلا مثالاً تربويًا رائعًا في ذلك.

وفيما يتعلق بالمجتمع وبنائه بناءً عقائديًا وتربويًا فالتشريع قد أكّد ذلك في كثير من جوانب الحياة، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[٥]، فضلاً عن الأحاديث الكثيرة التي حثت على التراحم والتزاور والتعاون وأحترام حقوق الآخرين، مهما كان أنتماؤهم، بل كان أساس العلاقات قائم على أحترام الإنسان وتكريمه والحفاظ عليه شاهداً أو غائبًا، فجعل لهم حقوق متبادلة يجب مراعاتها فيما بينهم[٦]، وهذا من أعظم ما بيّنه التشريع الإسلامي في الحفاظ على المجتمع وتربيته، لأداء دوره التربوي والإصلاحي من خلال نظامه؛ لأنَّ الإنسان مستعد لذلك بفطرته التي أودعها الله تعالى فيه، وهذا ما تذهب إليه بعض المذاهب التربوية النفسية، فقد ورد عنهم: ((إنَّ الإنسانَ خيِّرٌ بطبعه، وإنَّ ما يتلقَّاهُ من عدوانيةٍ وأنانيةٍ بمثابةِ أعراضٍ مرضيةٍ، هي نتيجةُ ما يتلقَّاهُ الفردُ من إحباطاتٍ مختلفةٍ، أو إنكارٍ لحقِّه في أنْ يحقق إنسانيَتَهُ، وقد يُساءُ توجيهُ

الفـرد، أو يُحـالُ بينـهُ وبـينَ الحيـاةِ العاديـةِ الصـحيحةِ، نتيجـةَ الصـعوباتِ والتحـدياتِ التي يواجهها))[٧].

فالبناء الصالح والتربية للفرد والأسرة والمجتمع من الضرورات العقلية المهمة لدى البشرية في صلاحها، وقد تضمن ذلك كتابات التربويين الإسلاميين والغربيين، فهناك أهمية كبيرة للأسرة في التنشئة الاجتماعية، وبناء مجتمع قائم على أفراد صالحين، فالأسرةُ هي المؤسسةُ الرئيسةُ والأساسُ في المجتمع، ولديها وظائفُ متنوعةٌ، ومن أهم ما أمتازت به أنها منظمةٌ أجتماعيةٌ تمارسُ نفوذًا كبيرًا على أفرادها، كونُها أولَ منظمة تتلقَّى الفردَ وتوفِّرُ له الرعايةَ والغذاءَ وما يحتاجهُ من ضروريات الحياةِ في تنشئته الأولى، فضلاً عن مميزات أخرى لها[٨].

وعلى أساس ذلك نرى أنَّ القرآن الكريم قد ذكر أهمية تلك العلاقات، ووجوب أنْ يكون الانطلاق الأول بمحاسبة الذات وتنظيمها للانطلاق نحو المجتمع، وهذا ما يمكن قراءته في بعض الدراسات الإسلامية التي أكدت على أهمية ذلك، حيث ورد: ((إنَّ الإصلاحَ التربويَّ إمكانٌ ذاتيٌّ ينطلقُ من الذات، مع مراعاة قيَمها وهويتها، هادفًا إلى ترسيخ وضمانِ قُوَّتها، مما يمكنُ من توحيدِ أفرادِ الأمةِ روحًا وفكرًا، وسلوكًا ومصيرًا))[٩].

إنَّ أهمية كُلِّ ما تقدم تكون واضحة تمامًا عندما يتم ربط هذه العلاقات الثلاث فيما بينها أرتباطًا قائمًا على منهج تربويٍّ يستقي منها نظامه التكاملي في التربية الاجتماعية الأخيرة، بعد تجاوزه التربيتين الأوليين الفردية والأسرية، وقد أكَّد الباحثون التربويون أهمية تلك العلاقات في بناء النظام الاجتماعي، فقالوا: ((يقومُ المجتمعُ على جهدِ كُلِّ عضوٍ من أعضائه؛ لتحقيقِ الكفايةِ التي تشبعُ حاجاتِهم، ذلكَ أنَّ الأعضاءَ يرتبطونَ بالأعضاءِ والجماعاتِ التي تساهمُ في تقدمهم، وتحققُ شعورَهُمْ بالكفايةِ كالأسرةِ مثلاً، مما يؤدي إلى التوافقِ المتبادلِ بينَ سلوكِ الأشخاصِ نتيجةَ الاستجاباتِ المشتركةِ بينَ الأفرادِ والجماعات، بالصورةِ التي توفِّرُ لهم الوحدةَ النفسيةَ، والروحَ الجماعيةَ التي تعدُّ العاملَ الجوهريَّ في نشاطِ المجتمع))[١٠].

فالتربية لها أثر كبير في بناء المجتمع بناءً تربويًّا وعقائديًّا، وقد أعتنى المسلمون بذلك من خلال المؤلفات الكثيرة التي حاولت بيان تلك العلاقات وأهميتها وأثرها الفردي

والاجتماعي[١١].

إنَّ الإنسان بطبيعة أحواله محتاج إلى معرفة الطريق النافع له، والمُنجي من كُلِّ سوء يؤدي به إلى أيِّ أذىً ماديٍّ أو معنويٍّ، وهذا لا يتم ما لم يكن مُهَيَّئًا لتلقّي المعارف التي تؤسس لذلك وتحصِّنَهُ مما قد يضيِّعُ عليه تلك الأهداف، والتي تكون فردية تارة، وأجتماعية تارة أخرى، فهو في الحالَيْنِ محتاج إلى الآخر، أو إلى الآخرين ليحقق سعادته التي يرى آثارها على نفسه كفردٍ، أو على المجتمع كفردٍ هو من ضمنه، والشريعة المقدسة في كثير من نصوصها قد أعتنت بذلك، في بيان مفردات التربية الفردية والجماعية، فينبغي أنْ تتحقق السعادة على المستوى العام إجمالاً في التشريع الإسلامي، لا أنْ تتحقق على مستوى الفرد إنْ كان في ذلك آثار سلبية على المجتمع، وهذا ما أشارت إليه كثير من الدراسات الفلسفية والأخلاقية الإسلامية وغيرها، ومما ورد في كتابات الغربيين عند مناقشتهم لحدود المنفعة الشخصية وأبعادها قولهم: ((وبالاختصارِ نقولُ إنَّ مذهبَ المنفعةِ الشخصيةِ ليسَ مذهبًا عديمَ القيمةِ، إنَّهُ فقط جدُّ متفائلٍ، وليسَ في تفاصيلِهِ قواعدَ للسلوكِ موثوقٌ بها إلى حَدِّ الكفايةِ، إنَّ أطمئنانَ الضميرِ - بالنسبةِ إلى النفوسِ المهذَّبةِ تهذيبًا عاليًا - هو المطلبُ الأولُ، لكن هل كُلُّ النفوسِ عاليةُ التهذيبِ))[١٢]، إنَّ هذا النص يبيِّن بوضوح حاجة الإنسان إلى نظام يكفل له تحقيق سعادته، يطمئن إليه، ويثق به، ليست فيه غايات شخصية ضيقة، بل يتجاوز الذات إلى الآخر، وهذا ما نحاول عرضه في هذه الصفحات المتواضعة، من خلال بيان ما ورد في التشريع الإسلامي من آثار كبيرة في تهذيب سلوك ورغبات الفرد والمجتمع.

فإنَّ ما يتعلق بالإمام السجاد عليه السلام وما ورد عنه من آثار تربوية في بناء الإنسان والمجتمع وصلاحهما فهي كثيرة، وكان من أعظمها تلك الرسالة العظيمة المشهورة بـ"رسالة الحقوق" التي تضمنت حقوق وواجبات لها أعظم الآثار التربوية والإصلاحية، ولكنّي أستعرض في هذه الصفحات حديثًا تربويًا واحدًا مما ورد عنه عليه السلام، أراه من الأحاديث التربوية المهمة، في تنظيم العلاقات الفردية والاجتماعية، فقد روي عنه: ((إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللهِ أَحْسَنُكُمْ عَمَلاً، وَإِنَّ أَعْظَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ عَمَلاً أَعْظَمُكُمْ فِيمَا عِنْدَ اللهِ رَغْبَةً، وَإِنَّ أَنْجَاكُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ أَشَدُّكُمْ خَشْيَةً للهِ، وَإِنَّ أَقْرَبَكُمْ مِنَ اللهِ أَوْسَعُكُمْ خُلُقًا، وَإِنَّ أَرْضَاكُمْ عِنْدَ اللهِ أَسْبَغُكُمْ عَلَى

عِيَالِهِ، وَإِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَلَى اللهِ أَتْقَاكُمْ للهِ))[١٣].

إنَّ الإمام عليه السلام وضمن منهجه في تربية المسلمين وأستثمار طاقاتهم التي أودعها الله فيهم، يحاول أنْ يضع نظامًا تكامليًا لأنفسهم، من خلال تنظيم علاقات معينة في هذا الجانب من تربية النفس وتكاملها، سواء على المستوى الفردي في علاقاتها المتعلقة بالذات، أم على المستوى الجماعي في علاقاتها المتعلقة بالمجتمع، وفي ذلك أمتداد لمنهج الثقلين - القرآن والعترة - في التربية والإصلاح على المستويين العلمي والعملي، وفي النظرية والتطبيق، وفي هذا الحديث الشريف يؤكد الإمام في دعوته على أهمية علاقات ست مهمة جدًا، لها أثر كبير في تهذيب النفس وتكاملها، فضلاً عن تنميتها وتكاملها، وسوف أحاول بيان هذه العلاقات من خلال تسميتها أولاً، فبيان ما يتعلق بها من الناحية الشرعية والعقلية ثانيًا، ثم بيان آثارها العملية في سلوك الإنسان ثالثًا؛ لنكون على بينة وإحاطة من رسالة الإمام السجاد التربوية الإصلاحية، وإنَّ من أهم أهداف هذه العلاقة الست أكتشاف الإنسان ذاته في قدرتها على الوصول إلى أعلى درجات التكامل النفسي والاجتماعي، من خلال تربية وتنشئة خاصة لها، قائمة على العلم والعمل تدريجيًا، وقد قرر التربويون أهمية أكتشاف الإنسان ذاته مهما كانت قدراته ومهاراته، والكشف عما لديه من مواهب وأستعدادات، حتى يثبت وجوده في المجتمع، فيكون عنصراً فاعلاً فيه [١٤]، ونحن في بحثنا الموجز عن هذه العلاقات سوف نصل إلى نتيجة لا يقبل الشك فيها، بأنَّ الإنسان هو العامل الأساس في بناء المجتمع، ويجب أنْ يكون هناك أعتناء كبير في إيجاد أنظمة وتشريعات للحفاظ عليه، وأنَّ النظام الإسلامي هو نظام كامل له القدرة على ذلك، ماديًا ومعنويًا.

ويحاول الباحث بيان ما يتعلق بتلك العلاقات إجمالاً في هذه الصفحات المتواضعة من خلال تقسيمها على مباحث ستة، بعد مقدمة، وتمهيد، فخاتمة، فنسأله تعالى أنْ تكون محاولة في نشر آثار الثقلين التربوية؛ للوصول إلى مجتمع متكامل تربويًا، له القدرة على نشر الفضيلة والصلاح فيما بينه أولاً، وإيصال رسالته إلى المجتمعات الأخرى بعد ذلك ثانيًا؛ لنكون حقيقة رحمة للعالمين، كما كان النبي وأهل بيته عليهم السلام.

المبحث الأول

علاقة حب الله تعالى بالعمل

قال عليه السلام: ((إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللهِ أَحْسَنُكُمْ عَمَلًا)).

إنَّ هذه العلاقة الأولى التي يجب على الإنسان الذي يبغي الوصول إلى الله تعالى أنْ ينظمها، ويجب أنْ تكون على أساس العمل، والعمل في مثل هذه العلاقات بالخصوص لا يكون إلا على المعرفة، وكلما كانت المعرفة تامة ودقيقة كان العمل كبيرًا وعظيمًا، ولذلك فإنَّ التركيب البنائي للجملة قد أبتدأ بإحدى الأدوات التي تستعمل في التأكيد (إنَّ)، وفي ذلك بيان لأهمية ما يتم عرضه وبيانه.

وفيما يتعلق بالعمل فإنَّ الشريعة الإسلامية المقدسة قائمة عليها، وقد دلَّت النصوص الشرعية عليه، فلا يخلو الإيمان بالعقيدة من العمل، بل هو ملازم إليه مطلقًا بما يترجمه، وهذا الأمر واضح جلي، فقد جاء لفظ العمل مقترن بالعقيدة في أثنين وخمسين موردًا تقريبًا بصيغة قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[١٥]، ولو رجعنا إلى القرآن الكريم لوجدنا أنَّ الله تعالى قد ذكر العمل بصيغ متعددة كثيرة (عمل، عملوا، يعملون، عامل) وكُلُّ ذلك يدل على أهمية العمل، فهو يقع تحت نظر الله عز وجل وقد أمر عباده به بقوله: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١٦]، وأنَّ العمل لا علاقة له بحجمه ومقداره، فكُلُّ عمل له أثر على صاحبه مهما بلغ، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[١٧]، وليس له علاقة بفئة من دون غيرها، بل هو موجه لكُلِّ العباد ليتقربوا به إلى الله تعالى، ويترجموا عقيدتهم تجاهه، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٨]، بل إنَّ مقياس قبول الإنسان عند الله تعالى ورفضه هو العمل، وهذا ما أكدته الآيات الشريفة وهي كثيرة جدًا، قال تعالى في بيان عظيم مقامهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٩].

والعمل قد أكَّد عليه الإمام السجاد عليه السلام لأنه الغاية التي يتم بها تربية الإنسان وصلاح

المجتمع، ولو تتبعنا ذلك لرأيناه كثيراً في أدعيته وأقواله، فضلاً عن سيرته العملية المباركة، ومما ورد عنه في ذلك قوله عليه السلام: ((لا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ تَقْوَى، وَكَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَقَبَّلُ)) (٢٠)، فهذا الحديث ناظر إلى أقل العمل، وفيه دعوة لتجاهه، وعدم استصغاره، والعمل أمر عظيم لا ينبغي الإعراض عنه، وخصوصاً إذا كان مقروناً بتقوى الله تعالى فهو مقبول لا محالة، وقال عليه السلام في وصية لابنه: ((أَفْعَلِ الْخَيْرَ إِلَى كُلِّ مَنْ طَلَبَهُ مِنْكَ، فَإِنْ كَانَ أَهْلُهُ فَقَدْ أَصَبْتَ مَوْضِعَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِأَهْلٍ كُنْتَ أَنْتَ أَهْلَهُ))(٢١)، وهذه دعوة صريحة منه في الدعوة إلى العمل الذي فيه تربية النفس وصلاحها، وصلاح المجتمع كذلك من خلال بروز العمل من الذات إلى الآخر، وهذه من أهم دعوات المسلمين الإصلاحية، فصلاح الإنسان والمجتمع غاية عظيمة، ومن أجلها تم تشريع كثير من الأحكام الشرعية بل أغلبها، للحفاظ عليه من الضياع، وهذا لا يكون إلا بتشريع نظام، والعمل على تطبيقه، ومما ورد عنه في بعض أدعيته التربوية العظيمة: ((اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِه، وَوَفِّقْنَا فِي يَوْمِنَا هَذَا وَلَيْلَتِنَا هَذِه وَفِي جَمِيعِ أَيَّامِنَا لِاسْتِعْمَالِ الْخَيْرِ، وَهِجْرَانِ الشَّرِّ، وَشُكْرِ النِّعَمِ، وَاتِّبَاعِ السُّنَنِ وَمُجَانَبَةِ الْبِدَعِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَحِيَاطَةِ الْإِسْلَامِ، وَانْتِقَاصِ الْبَاطِلِ وَإِذْلَالِه، وَنُصْرَةِ الْحَقِّ وَإِعْزَازِه، وَإِرْشَادِ الضَّالِّ، وَمُعَاوَنَةِ الضَّعِيفِ، وَإِدْرَاكِ اللَّهِيفِ)) (٢٢)، فلو تأملنا في الألفاظ (استعمال، هجران، أتباع، مجانبة، نصرة، معاونة، إدراك) فكلها تدل على تمام الإقبال على العمل في المجتمع، ومجاهدة النفس من أجل الإصلاح فيه، وهذه الغايات لا يمكن تحقيقها من غير العمل المتواصل الكبير، للوصول إلى الغايات التي تحقق سعادة المجتمع الإنساني، وكُلُّ هذه الدعوات لو تأملنا بها -حقيقة- لوجدنا أنها تسلط الضوء على الإصلاح عامة، فضلاً عن الإيمان والعقيدة، وهذا ما يؤكِّد عالمية الشريعة المقدسة، وشمولها البشرية كلها، وكثير من هذه الدعوات المباركة تضمنتها أدعيته الإمام السجاد عليه السلام، ولو تأملنا رسالته العالمية للحقوق لرأينا دعواته الإصلاحية التربوية التي تضمنتها في جميع فقراتها.

فالإمام عليه السلام في هذه الفقرة يبيِّن أنَّ العلاقة بين حب الله تعالى والعمل قائمة على مستوى أفضلية (الحب والعمل) المتبادَلَين والمتعاملين فيما بينهما تعاملاً طرديًّا، فعلى مستوى العمل ونوعه يكون حب الله تعالى لذلك العامل، ويزداد ذلك على زيادة العمل وزكاته، فزكاة العمل وطهارته من الرياء والعجب والغرور وغيرها هي أساس العمل

المقبول أبتداء، ثم تتجلى المحبة على مستوى الإخلاص والتقوى والقربة فيه، فلو وصل الإنسان إلى محبته تعالى فقد تجلت فيه المعاني السامية التي تجلت في أنبيائه وأوليائه، الذين هم هداة البشرية وقادتها نحو الصلاح، وإنقاذ البشرية من الظلمات.

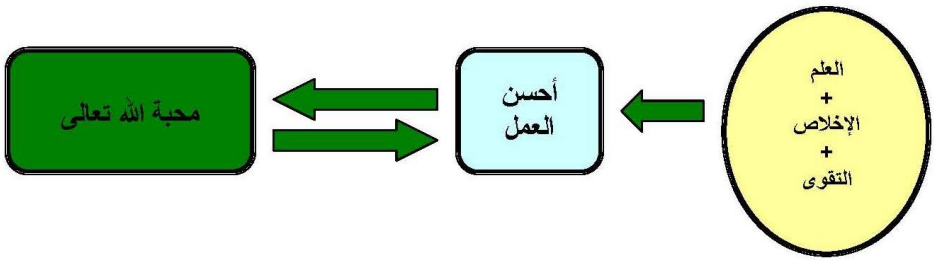

مخطط ١ يوضح حاجة العلم إلى مقدماته (العلم، والإخلاص، والتقوى) ليصل إلى عالم واسع في محبة الله تعالى، وأثر المحبة على العمل

المبحث الثاني

علاقة العمل بالرغبة

قال عليه السلام: ((وَإِنَّ أَعْظَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ عَمَلًا أَعْظَمُكُمْ فِيمَا عِنْدَ اللهِ رَغْبَةً)).

إنَّ هذه العلاقة الثانية التي يجب على الإنسان الذي يبغي الوصول إلى الله تعالى أنْ ينظِّمها، والتي ينبغي أنْ تكون على أساس الرغبة نحوها، وخصوصًا في العلاقة مع الله تعالى.

ومما يجب أنْ نسأله قبل بيان ما يتعلق بهذه العلاقة المباركة ما يأتي:

١- ما معنى الرغبة؟

٢- ما أسباب ودوافع الرغبة؟

٣- ما آثار الرغبة في الله تعالى.

إنَّ هذه الموضوعات الثلاثة يمكن أستنباطها في قراءة أولية لهذا المقطع من الحديث

الشريف، الذي يحدد أعظم العلاقات بين العبد وربه، وتجليات أنواره تعالى، وأثر تلك التجليات على النفس ألإنسانية وسلوكها، وتربيتها وصلاحها.

أما فيما يتعلق بمعنى الرغبة، قال الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م): ((أصلُ الرغبة السعةُ في الشيء، يقالُ: رَغُبَ الشيءُ أتسعَ، والرغبةُ السعةُ في الإرادة، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[٢٣]، فإذا قيلَ: رغبَ فيهِ وإليهِ يقتضي الحرصَ عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾[٢٤]، وإذا قيلَ: رغبَ عنهُ أقتضى صرفَ الرغبةِ عنهُ والزهدَ فيه، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾[٢٥]))[٢٦].

فالرغبة عنده وإليه هو الاتجاه الممدوح في هذا المصطلح الذي يدل على بذل جهد واسع تجاه الأمر الذي يرغبه الإنسان في سيره التكاملي باتجاه خالقه، وما تقدم من معانٍ يؤكّد بوضوح معنى الرغبة الذي يرشد إليها حديث الإمام السجاد عليه السلام وهو الرغبة إلى الله تعالى ونحوه، والحرص على هذا التوجه نحو الله، وقد عُدَّ من مقومات الرغبة هو السؤال والطلب [٢٧]، وبطبيعة الحال فإنَّ عظمة السؤال والطلب متوقفة على معرف السائل بالمسؤول، وقدرته على تلبية طلبه.

وأما ما يتعلق بأسباب ودوافع الرغبة إلى الله تعالى فإنها تتفاوت من إنسان إلى آخر في تربيته لنفسها وصلاحها، ويمكن أنْ نذكر بعض تلك الأسباب والدواعي ومنها:

أ- الحصول على ثواب الله تعالى.

ب- التقرب إليه تعالى.

ج- اللجوء إلى ركن وثيق في الشدائد.

د- إنه تعالى أهلٌ للرغبة نحوه.

ولو تأملنا في هذه الدواعي لرأينا كلها تتجه نحو تربية الإنسان نفسه، والحفاظ عليها من الانحراف نحو الأسباب الناقصة، التي لا تحقق لها الكمال الذاتي، وخصوصًا في الداعي الأخير والذي يحقق للإنسان أعلى درجات الصلاح لذاته وللمجتمع، وهو قائم على مستوى المعرفة بالله تعالى المرغوب إليه ونحوه.

وأما ما يتعلق بآثار الرغبة إلى الله تعالى فهي واضحة المعالم من خلال وضوح وكمال شخصية الراغب المحدود نحو المطلق، والراغب الناقص نحو الكمال، والفقير نحو الغني الحميد، إلى آخره من صفات الإنسان المخلوق تجاه الله تعالى الخالق، وقد رأينا تجليات ذلك في أدعية الإمام السجاد عليه السلام، فيقول في مناجاته المعروفة بـ"منجاة الراغبين": ((إلهي أَسْتَشْفَعْتُ بِكَ إِلَيْكَ، وَأَسْتَجَرْتُ بِكَ مِنْكَ، أَتَيْتُكَ طَامِعًا فِيْ إِحْسَانِكَ، رَاغِبًا فِيْ أَمْتِنَانِكَ، مُسْتَسْقِيًا وَابِلَ طَوْلِكَ، مُسْتَمْطِرًا غَمَامَ فَضْلِكَ))[٢٨].

ومن أهم مقومات الرغبة وإدامتها وتوثيقها المعرفة والتوكل، وما يترتب عليهما من أمور، فكلما أشتد هذان السببان كانت الرغبة أعظم وأوثق، ولا يمكن أنْ تزول بسهولة، وفي ذلك كمال الإنسان وصلاحه.

وبعد البيان الإجمالي لهذه المقدمات الثلاث نرى أنَّ الإمام عليه السلام يبيِّن قوة الارتباط بين عظمة العمل والرغبة بما عند الله تعالى، فالعمل يزداد عظمة ومكانة ووثاقة على قدر الرغبة بما عند الله تعالى، وهذه الرغبة لا يمكنْ أنْ تتم من غير علم سابق عليها، فالعلم بالشيء يدعو الإنسان إلى الرغبة نحوه، وكذلك في الرغبة عنه.

وإنَّ هذه الفقرة من الحديث الشريف تدعو نحو العمل الذي هو أمر عظيم في الشريعة الإسلامية المقدسة، كما تقدم في الفقرة الأولى من عدد مرات أقتران العمل بالعقيدة، وهذا يدل على أهمية العمل، والتأكيد على نوعيته، وعظمته عند المسلمين، وفيه دعوة كبيرة نحو تهذيب النفس وتربيتها وإصلاحها، وما في ذلك من أثر كبير في المجتمع، فالإنسان الذي تشتد رغبته في الله تعالى، يكون عمله عظيمًا نحوه، وعظمة العمل تتجلى على سلوكه الفردي والاجتماعي، فرغبة الإنسان نحو ثواب الله تعالى، أو التقرب إليه، أو كونه أهلاً للرغبة، تجعله أشد تمسكًا بالعمل الصالح في المجتمع، في جميع مجالات الحياة المتنوعة، التي هي بأمس الحاجة لأنْ يكون المؤمنون هم العاملون في المجتمع، والسبَّاقون إلى ذلك، لرغبتهم فيما عند الله تعالى، على وفق علمهم بهذا الصراط، وتوكلهم على الله تعالى باللجوء إليه، فيكونوا كما قال تعالى في بيان مقامهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[٢٩]، وبطبيعة فإنَّ خير البرية هم خير الناس تربية وسلوكًا، وأخلاقًا وإصلاحًا، وهذا ما ترجوه هذه الفقرة من حديث الإمام السجاد عليه السلام، وكذلك ما ورثناه من أدعيته الشريفة.

إنَّ هذه السعادة التي تحققها رغبة المؤمن نحو معرفة الله تعالى وحكمته في تشريعاته هي من أهم ما بحثه الفلاسفة في فلسفة الأخلاق والسعادة، وأهمية حاجته إلى مرشدٍ يبيِّن له الطريق الذي يوصله إلى تحقيق سعادته، وما في ذلك من علاقة بين الفطرة والعمل المترجم لها، وقد حاول الفلاسفة الغربيون أنْ يؤكِّدوا ذلك، فضلاً عن العقيدة والانتماء، قال "أندريه كريسون": ((إذا كانَ الخيرُ المطلقُ هو السعادةُ، والسعادةُ هي الخيرُ، فما السبيلُ إلى الحصولِ عليها؟ ألا يعرفُ الإنسانُ - أحيانًا - المكانَ الذي يريدُهُ، ولكنَّهُ يجهلُ السبيلَ الموصِّلَ إليهِ فيضلَّ؟ إنَّهُ لا يكفي - إذن - إرشادُ الإنسانِ إلى ما تتطلَّعُ إليهِ طبيعتُهُ، بل يجبُ إنارةُ الطريقِ الموصِّلِ إلى ذلكَ))[٣٠]، إذن فالإنسان في رغبة شديدة نحو تحقيق سعادته، ولكنه يحتاج إلى بيان سبيل الهداية نحو ذلك، والشريعة المقدسة قد تكفَّلت له بذلك، لو تم ألتزام بها، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[٣١].

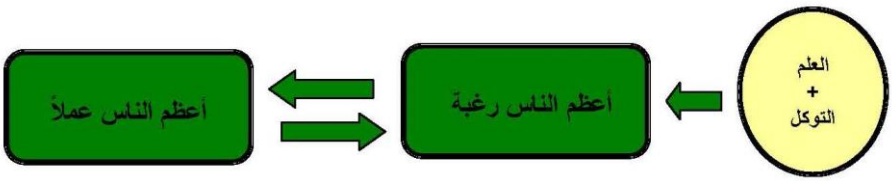

مخطط ٢ يوضح حاجة الرغبة إلى مقدماتها (العلم، والتوكل) ليصل إلى عمل كبير وعظيم، وأثره في تنشيط الرغبة

المبحث الثالث

علاقة النجاة بالخشية

قال عليه السلام: ((وَإِنَّ أَنْجَاكُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ أَشَدُّكُمْ خَشْيَةً للهِ)).

إنَّ هذه العلاقة الثالثة الواردة في حديث الإمام السجاد عليه السلام توجب على الإنسان الذي يبغي الوصول إلى الله تعالى أنْ ينظمها بعد معرفتها، والتي هي قائمة بين الخشية والنجاة، وأثر هذا الترابط في تربية النفس والعمل نحو صلاحها، وصلاح المجتمع.

قال الراغب الأصفهاني: ((الخَشْيَةُ خَوْفٌ يَشُوبُهُ تَعْظِيمٌ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ عَنْ عِلْمٍ بِمَا

يُخْشَى مِنْهُ، ولذلك خص العلماء بها في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٣٢])).[٣٣].

فالخشية هي الخوف ممن يُخشى مع تعظيم لمقامه في نظر المَخشي، وهذا فعلاً يحتاج إلى علم إجماليٍ أو تفصيليٍ بالمخشي منه، وتزداد الخشية على قدر مقام المخشي منه، ومعرفته، لذا فإنَّ الآية الشريفة قد خَصَّت وحَصَرت الخشية بالعلماء، ويُستدل على ذلك أيضًا بما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: ((سَبَبُ الْخَشْيَةِ الْعِلْمُ))[٣٤] وقوله: ((أَعْلَمُ النَّاسِ بِاللهِ أَكْثَرُهُمْ خَشْيَةً لَهُ))[٣٥].

وأما غير العلماء في تعاملهم مع المولى باجتنابهم المعصية هل يطلق عليه خشية خاصة؟ أم هو خوف عام؟ هو في الحقيقة خوف عام، لا خوف خاص؛ لأنَّ الخشية كما تقدم مقترنة بالتعظيم، فالعلماء يخافون التقصير تجاه مقامه العظيم، وأما غيرهم فيخافون عقابه المتوقع تجاههم، فالخوف هو: ((تَوَقُّعُ مَكْرُوهٍ عَنْ أَمَارَةٍ مَظْنُونَةٍ أَوْ مَعْلُومَةٍ، وَيُسْتَعْمَلُ فِيْ الْأُمُورِ الدِّيْنِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ))[٣٦].

وعلى أساس ما تقدم يمكن القول: إنَّ الخشية ناظرة إلى مقام الوصول إلى الله تعالى، والخوف ناظر إلى مقام تجنُّب العقوبة والعذاب من الله، وقد ذكر الشيخ الطريحي عن المحقق الطوسي هذا المعنى في بيان مقام الخشية بين العلماء وغيرهم، فقال: ((﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾[٣٧] أي من خوف ربِّهم. والخشية: الخوف. يقال: خشيَ الرجلُ يخشى خشيةً أي خافَ، ولا تحصلُ إلا لمَنِ اطلع على حال الكبرياء، وذاقَ لذَّةَ القُربِ؛ ولذا قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فالخشيةُ خوفٌ خاصٌّ، وقد يطلقونَ عليها الخوفَ أيضًا))[٣٨].

وإلى هذا أشار "الجرجاني" (٨١٦هـ/١٤١٣م) في تعريف الخشية بقوله: ((تَأَلُّمُ الْقَلْبِ بِسَبَبِ تَوَقُّعِ مَكْرُوهٍ فِيْ الْمُسْتَقْبَلِ، يَكُوْنُ تَارَةً بِكَثْرَةِ الْجِنَايَةِ مِنَ الْعَبْدِ، وَتَارَةً بِمَعْرِفَةِ جَلَالِ اللهِ وَهَيْبَتِهِ، وَخَشْيَةُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ هَذَا الْقَبِيْلِ))[٣٩]، فالمكروه المتوقع هو الابتعاد عن مقام القرب من الله تعالى بسبب الذنوب والمعاصي التي تصدر من الإنسان غفلة أو سهوًا لعلمه بمقام الله، وأما جلاله وهيبته فهي فعلاً تكون من الإنسان الذي يحاسب نفسه دائمًا، فضلاً عن مراقبته لها، وتذكيرها بأنها بين يدي الله عزّ وجل، وتعظيم مقامه، وكُلُّ ذلك بحاجة إلى

معرفة، إجمالية تارة، وتفصيلية تارة أخرى.

فالإمام عليه السلام يرى أنَّ الخشية، أي هذا الخوف الخاص هو أكثر نجاة وأعظم يوم القيامة من الخوف عامة؛ لأنَّ الأول ممدوح مطلقًا، وقد أكدت آيات كثيرة على ذلك كما تقدم، فضلاً عن الروايات الشريفة التي وردت في بيان مقام الخوف العام، أو الخاص وهو الخشية، فمما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: ((جِمَاعُ الْخَيْرِ خَشْيَةُ اللهِ))[٤٠] فالخير المراد في الحديث هو خير الدنيا والآخرة، ومن أهم آثاره في الدنيا هو ما له علاقة وثيقة بتربية الإنسان، وما يترتب على ذلك من سلوك صالح في المجتمع، وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه الإمام الحسن عليه السلام: ((أُوْصِيكَ بِخَشْيَةِ اللهِ فِيْ سِرِّ أَمْرِكَ وَعَلانِيَتِكَ))[٤١]، وهذه الوصية تؤكّد مقام الخشية عند الله تعالى، وأثرها على الإنسان في التعامل ما بينه وبين الخالق، وما بينه وبين المخلوقين، وهذه غاية عظيمة من غايات التشريع الإسلامي في الحفاظ على حقوق المولى تجاه العبد، وحقوق العباد فيما بينهم.

ونختم للفائدة بيان معرفة حقيقة التعامل مع الله تعالى بما ذكره "الشيخ الصدوق" (ت٣٨١هـ/٩٩١م) في بيان أنواع الأعمال التي يجمعها مصطلح الخوف، مع بيان اختصاص كُلٍّ منها بدرجة خوف تتفاوت عن الأخرى على أساس أمر معيَّن، فيقول: ((أنواعُ الخوفِ خمسةٌ: خوفٌ، وخشيةٌ، ووجَلٌ، ورهبةٌ، وهيبةٌ. فالخوفُ للعاصينَ، والخشيةُ للعالمينَ، والوجلُ للمُخبتينَ، والرهبةُ للعابدينَ، والهيبةُ للعارفينَ. أمَّا الخوفُ فلأجلِ الذنوبِ قالَ اللهُ عزّ وجل: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[٤٢]، والخشيةُ لأجلِ رؤيةِ التقصيرِ قالَ اللهُ عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، وأمَّا الوجلُ فلأجلِ تركِ الخدمةِ قالَ اللهُ عز وجل: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[٤٣]، والرهبةُ لرؤيةِ التقصيرِ قالَ اللهُ عز وجل: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[٤٤]، والهيبةُ لأجلِ شهادةِ الحقِّ عندَ كشفِ الأسرارِ - أسرار العارفين - قالَ اللهُ عزّ وجل: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[٤٥] يشيرُ إلى هذا المعنى))[٤٦].

من خلال ما تقدم فإنَّ هذه الفقرة في الحديث عن الإمام السجاد عليه السلام واضحة الدلالة في تربية الفرد والمجتمع من خلال الوصول إلى مقام الخشية، وما يترتب عليه من الأعمال الصالحة على المستويين الفردي والاجتماعي في التربية والإصلاح، فيجب على الإنسان أنْ

يكون على بينة من عظمة هذا المقام في الدنيا، وأثره في الآخرة، بالفوز بالجنة والابتعاد عن النار.

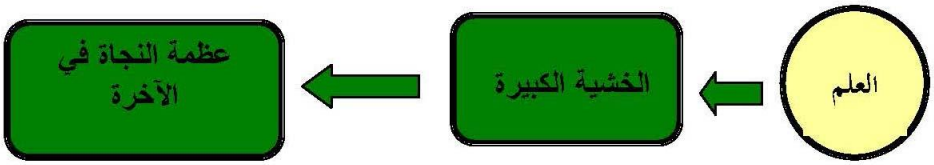

مخطط ٣ يوضح أثر العلم في الخشية وعظمة ذلك يوم القيامة

المبحث الرابع

علاقة القرب بالأخلاق

قال عليه السلام: ((وَإِنَّ أَقْرَبَكُمْ مِنَ اللهِ أَوْسَعُكُمْ خُلُقًا)).

إنَّ هذه العلاقة الرابعة الواردة في حديث الإمام السجاد عليه السلام من العلاقات المهمة جدًّا التي حثت عليها الشريعة المقدسة في كثير من الموارد، والتي هي قائمة على القُرْب عند الله تعالى والأخلاق، وأثر ذلك تربويًّا وأخلاقيًّا على سلوك الفرد والمجتمع.

وقبل أنْ نتحدث عن الأخلاق في المفهوم الإسلامي وآثارها في التربية نحاول إجمالاً بيان تعريف الأخلاق، وأقوال العلماء فيها، وما يتعلق بالقوى التي تتقوَّم بها؛ للتأكيد على أنَّ مسألة الأخلاق مسألة فطرية يحتاجها الإنسان في حياته.

قال "الراغب الأصفهاني" في ذلك: ((الْخَلْقُ أَصْلُهُ التَّقْدِيرُ الْمُسْتَقِيمُ.... والْخَلْقُ يُقَالُ فِي مَعْنَى الْمَخْلُوقِ، والْخَلْقُ والْخُلُقُ فِي الْأَصْلِ وَاحِدٌ، لَكِنْ خُصَّ الْخَلْقُ بِالْهَيْئَاتِ وَالْأَشْكَالِ وَالصُّوَرِ الْمُدْرَكَةِ بِالْبَصَرِ، وَخُصَّ الْخُلُقُ بِالْقُوَى وَالسَّجَايَا الْمُدْرَكَةِ بِالْبَصِيرَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٤٧]))[٤٨].

إنَّ هذا البيان يمكننا أنْ نعرف منه بأنَّ الخلق مسألة لا علاقة لها بالأمور المادية التي هي بحاجة إلى الحواس في إدراكها، وإنما علاقتها قائمة ببصيرة الإنسان المدركة للحسن والقبح،

والحسن والقبح من الموضوعات المهمة التي ناقشها العلماء في علْمَي الفلسفة والكلام بتفصيل، وفي وقوله: (وخص الخلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة) فيه من الدقة المتناهية في فهم حقيقة هذا المعنى، فالإدراك مسألة فطرية أودعها الله تعالى في الإنسان عامة، ويقوم الإنسان بتسخير هذه القوى له، وأستعمالها في مواردها التي خُلقت لها، بشرط عدم تلوث تلك الفطرة بعوامل خارجية، ولتأكيد ذلك يقول "آبن مسكويه" (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م): ((الْخُلُقَ حَالٌ لِلنَّفْسِ دَاعِيَةٌ لَهَا إِلَى أَفْعَالِهَا، مِنْ غَيْرِ فِكْرٍ وَلا رَوِيَّةٍ))[٤٩]، وهذا التعريف أيضًا يؤكد على علاقة الأخلاق بالقوى الإنسانية النفسية من دون المادية، وقال الشيخ "النراقي" (ت١٢٠٩هـ/١٧٩٥م): ((الْخُلُقُ عِبَارَةٌ عَنْ مَلَكَةٍ لِلنَّفْسِ مُقْتَضِيَةٌ لِصُدُوْرِ الْأَفْعَالِ بِسُهُوْلَةٍ مِنْ دُوْنِ اْحْتِيَاجٍ إِلَى فِكْرٍ وَرَوِيَّةٍ))[٥٠].

فالأخلاق هي الملكات والصفات الحسنة التي تدعو الإنسان للتصرف قولاً أو فعلاً بما يؤدي إلى صلاحه وتربيته، بما يراه صالحًا على وفق ما قرره العقل السليم، وليس على وفق ما تراه نفسه صالحًا؛ لأنَّ النفس بصورة عامة تتأثر بمؤثرات خارجية، فنرى آثارها في تشويه الحقيقة، أو تبديلها؛ لذا يجب على الإنسان أنْ يتعرَّف على ما يؤدِّي به إلى النجاح والفشل، ليسعى نحو الأول، ويجتنب الثاني علمًا وعملاً، لذا ورد: ((فضائلُ الأخلاقِ مِنَ المُنجياتِ الموصلةِ إلى السعادةِ الأبديةِ، ورذائلُها مِنَ المُهلكاتِ الموجبةِ للشقاوةِ السرمديةِ، فالتخلِّي عن الثانيةِ والتحلِّي بالأُولى مِنْ أهمِّ الواجباتِ، والوصولُ إلى الحياةِ الحقيقيةِ بدونِهما من المحالاتِ، فيجبُ على كُلِّ عاقلٍ أَنْ يجتهدَ في اْكتسابِ فضائلِ الأخلاقِ، التي هي الأوساطُ المثبتةُ من صاحبِ الشريعةِ، والاجتنابِ عن رذائلِها التي هي الأطرافُ، ولو قَصَّرَ أدركتْهُ الهلاكَةُ الأبديَّةُ))[٥١].

ولأهمية الأخلاق عند جميع الأمم فقد تم الاعتناء بها من خلال وضع علم خاص يتعلق بها، وقد أشتهر هذا العلم بتعاريف متعددة، منها أنه: ((علْمٌ يُبْحَثُ فِيْهِ عَنْ الْمَلَكَاتِ وَالصِّفَاتِ الْحَسَنَةِ والسَّيِّئَةِ، وَآثَارِهَا وَجُذُرِهَا))[٥٢]، وبطبيعة الأمر فإنَّ هذه الصفات لها أثر على تربية الفرد والمجتمع، من خلال معرفتها والعمل بها لتظهر آثارها الإنسانية الكامنة، وهذا ما ينماز به المنهج الإسلامي عما سواه من المناهج الوضعية.

إنَّ علم الأخلاق كان له أعتناء كبير من قبل العلماء عامة، وعلماء الفلسفة والأخلاق

خاصة؛ لعظمة الإنسان وأهميته في هذا الوجود، وهذا ما يلاحظه المتتبع لكتابات الفلاسفة القدماء(٥٣)، وفي دراسة حديثة عن بيان أهمية العلاقة بين الأخلاق والدين، وأرتباطهما الوثيق في تهذيب سلوك الإنسان، نرى تأكيد ما تقدم: ((إنَّ الأخلاقَ هي علمُ قواعدِ السلوكِ، ومن ثم كانَ قيامُ هذا العلم تالٍ لتشكيلِ قواعدِ السلوكِ، ويسمَّى علمُ الأخلاقِ بعلمِ السلوكِ، وفلسفةِ الأخلاقِ، والحكمةِ العمليةِ، وهي قسمٌ من الفلسفةِ، لذا فقد يُعَرَّفُ علمُ الأخلاقِ أو فلسفةُ الأخلاقِ بمعنى أدقٍّ بأنَّها: ذلكَ الفرعُ الفلسفيُّ الذي يهتمُّ بشخصيةِ الإنسانِ وسلوكه. إذن فلسفةُ الأخلاقِ تعني بتنظيرِ سلوكِ الإنسانِ كونَهُ فرداً وعضواً في جماعةٍ، وبمعنى آخرٍ أدقٍّ هي فلسفةُ الصلاحِ والاستقامةِ في السلوكِ الإنسانيِّ))(٥٤).

وإنَّ الإسلام في تشريعاته المقدسة قد أَوْلى الأخلاق أعتناءً كبيراً من خلال القرآن الكريم والسنة الشريفة، وبيان آثارها ومراتبها في التربية، وعظمة التمسك بها في الدنيا والآخرة، وعلى الفرد والمجتمع، وهذه من أول وظائف الأنبياء عليهم السلام في بعثتهم إلى الأمم، قال تعالى في بيان هذه الوظيفة: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(٥٥)، قال الشيخ "الطوسي" في بيان ما يتعلق بـ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: ((أي ويطهرهُمْ من دنسِ الشركِ بما يهديهم إلى الإيمانِ، فيجعلهُمْ أزكياءً، وإنَّما يجعلُهُمْ كذلكَ بأنْ يدعوهُمْ إلى طاعةِ اللهِ التي يقعُ فيها الإجابةُ))(٥٦)، فتطهير الإنسان من الشرك هو تطهيره مما لا يلائم الفطرة الإسلامية في الاعتراف بفضل الخالق على الخليقة من دون سواه، وما في ذلك من وجوب الإذعان إليه والتمسك بتعاليمه، والتزكية طهارة النفس وتنميتها بالخير، قال "الراغب" بعد بيانه لزكاة المال: ((وَتَسْمِيَتُهُ بِذَلِكَ لِمَا يَكُوْنُ فِيْهَا مِنْ رَجَاءِ الْبَرَكَةِ، أَوْ لِتَزْكِيَةِ النَّفْسِ، أَيْ تَنْمِيَتَهَا بِالْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ أَوْ لَهُمَا جَمِيْعًا، فَإِنَّ الْخَيْرَيْنِ مَوْجُوْدَانِ فِيْهَا))(٥٧)، وقال السيد "السبزواري" (ت١٤١٤هـ/١٩٩٣م) في بيان التزكية: ((بمعنى الطهارة لكونها من موجبات النموّ والبركة.... وتزكيةُ الإنسانِ نفسَهُ أنْ تكونَ بالعملِ والاتصافِ بالأوصافِ المحمودةِ، والمرادُ بها في المقامِ هو تنميةُ عقولِهم، وأبدانِهم، وأموالِهم، وجميعِ شؤونِهم ببركاتِ تعاليمِه القيِّمةِ، وتطهيرِهم من الأدناسِ، ورذائلِ الأخلاقِ))(٥٨).

ومن أهم ما يجب بيانه أنَّ التربية الإسلامية تعتمد أساساً على الأخلاق الفاضلة القائمة

على كرامة الإنسان وصلاحه، وليس كما نراه في الأنظمة الأخرى التي قد لا تجعل ذلك هدفًا رئيسًا، لذا نُقِل عن العالم الإسباني "فيلا سبازا" قوله: ((إنَّ جميعَ اكتشافاتِ الغربِ العجيبةِ ليست جديرةً بكفكفةِ دمعةٍ واحدةٍ، ولا خلقِ ابتسامةٍ واحدةٍ، وليس أجدرُ من أُممِ الشرقِ المحتفظةِ بالثقافةِ العربيةِ-الإسلاميةِ، والقائمةِ على إذاعتِها، بوضعِ حدٍّ نهائيٍّ لتدهورِ الغربِ المشؤومِ الذي تجرُّ الإنسانيةَ إلى هُوَّةِ التوحشِ، والتسلطِ الماديِّ الاقتصاديِّ))[٥٩].

وإنَّ هذه الأخلاق التي يتمسك الإنسان بها، بل ويضحي باللذات المادية الفانية تجعل له شخصية جديدة، لها وجود في تصرفاته مع الآخرين، فيكون مؤثرًا فيهم بشكل واضح، وهذا لا يكون إلا بالتجرد عن حب النفس، واستعمال الأساليب الناجعة وما يمتلكه من مهارات متعددة معهم، ليكون التأثُّر به والتأثير بهم بارزًا في العلاقات العامة والخاصة في المجتمع، لذا قالوا: ((وكلمةُ الشخصيةِ اعتادَ الناسُ على استعمالِها في حياتِهمُ اليوميةِ، فيُقالُ فلانٌ ذو شخصيةٍ قويةٍ أو جذابةٍ أو مرحةٍ، وهذا ما يؤكِّدُ الانطباعاتِ التي يتركُها الفردُ في الآخرينَ))[٦٠]، فالأخلاق في النظام الإسلامي من أعظم الغايات التي يسير في طريقها المسلم نحو كماله، ليكون مؤثِّرًا في المجتمع من الناحيتين العلمية والعملية، وهذا ما ورد في الدراسات الإسلامية الحديثة من تأكيد وبيان، قال السيد "اللاري" ((إنَّ أُسُسَ الدينِ الإسلاميِّ الخالدِ التي أُسِّسَتْ من أولِ يومٍ على التقوى على يدِ أكبرِ شخصيةٍ أخلاقيةٍ في التأريخِ هي أُسُسُ السعادةِ والراحةِ والهناءِ، فالدعوةُ الإسلاميةُ قد بُنيَ أساسها على رفعِ قيمةِ الإنسانِ المعنويةِ، ورفعِ مستوى خُلُقِه إلى الملكاتِ الفاضلةِ، إنَّ الإسلامَ يمنعُ الإنسانَ منعًا باتًّا من أنْ يضحِّي بالفضائلِ في سبيلِ ميولِه وشهواتِه))[٦١].

ومن الآيات الكريمة التي أكدت على عظمة الأخلاق ما ورد في وصف نبيه محمد صلى الله عليه وآله بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٦٢] فإنَّ فيها تمام الإشارة إلى أهمية الخلاق وعظمتها، وشرف مقامها، ولذا أكَّد النبي عليها بقوله المشهور: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ))[٦٣]، فالحديث الشريف قد حصر أهداف البعثة الشريفة بهذا الهدف العظيم السامي للبشرية عامة، وللمسلمين خاصة.

والروايات الشريفة في الشريعة المقدسة التي تحث على أهمية الأخلاق، ووجوب التمسك بها للوصول إلى مقامات رفيعة عند الله تعالى، وفي المجتمع، نذكر منها ما ورد عن

صاحب الخلق العظيم صلى الله عليه وآله وهو يخاطب المؤمنين: ((أَفْضَلكُمْ إِيْمَانًا أَحْسَنُكُمْ أَخْلاقًا))[٦٤] فقد جعل الإيمان مقرونًا بالأخلاق، فزيادة الإيمان تُوجب زيادة الأخلاق بصورة عامة في القول والفعل، وفي ذلك كمال الإشارة إلى تربية النفس وصلاح الفرد والمجتمع المتمسك بهذه التعاليم الإلهية في آثاره الدنيوية، وما في ذلك من الثواب العظيم في الآخرة، بل هناك من الروايات الشريفة الدالة على وجوب التمسك بالأخلاق وإنْ لم يترتب على ذلك ثوابًا، فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: ((لَوْ كُنَّا لا نَرْجُوْ جَنَّةً وَلا نَارًا، وَلا ثَوَابًا وَلا عِقَابًا، لَكَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُطَالِبَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلاقِ، فَإِنَّهَا مِمَّا تَدُلُّ عَلَى سَبِيْلِ النَّجَاحِ))[٦٥]، وفي هذا الحديث دلالة على كمال الإنسان بالأخلاق الفاضلة التي فيها صلاح البشرية من كُلِّ سوء وأذىً، وهي دعوة عقلية يدعو إليها العقل السليم من شوائب الأدناس التي تلوِّث فطرته، وتحافظ على مقامه وتكريمه الإلهي، وقد نقل عن العالم الإنكليزي "صموئيل اسمايلز" قوله: ((إنَّ الأخلاقَ إحدى القوى المحركة لهذا العالم، وهي في أفضلِ صورِها تجسيدٌ للطبيعةِ الإنسانيةِ في أعلى أشكالِها، فإنَّ الأخلاقَ صورةُ الإنسانيةِ الحقيقيةِ))[٦٦].

إنَّ حديث الإمام السجاد عليه السلام في هذه الفقرة كان صريحًا في عظمة الأخلاق ووجوب التمسك بها في الوصول إلى الله تعالى، وإنَّ مستوى القرب منه يكون على درجة التمسك بها، وكُلُّ ذلك قائم على أساس معرفة مفردات فضائل الأخلاق للتمسك بها، ومفردات رذائلها للتخلي عنها، وهذا ما أكده أيضًا في سيرته عليه السلام وأحاديثه وأدعيته، وإنَّ رسالة الحقوق قد أشتملت على مفردات أخلاقية كبيرة في توجيه الإنسان إلى ذلك.

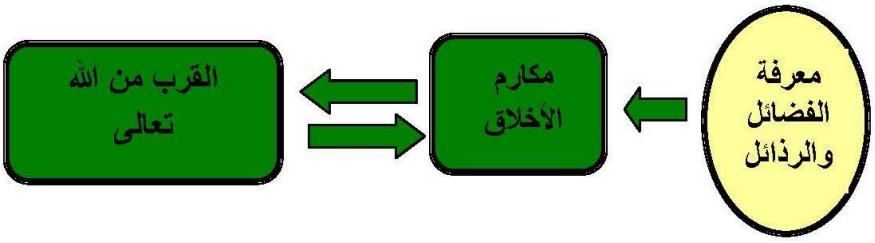

مخطط ٤ يوضح أثر الأخلاق في منزلة القرب من الله تعالى، وأثر القرب على الأخلاق النظرية والعملية

المبحث الخامس

علاقة الرضا بالنفقة

قال عليه السلام: ((وَإِنَّ أَرْضَاكُمْ عِنْدَ اللهِ أَسْبَغُكُمْ عَلَى عِيَالِهِ)).

إنَّ هذه العلاقة الخامسة الواردة في حديث الإمام السجاد عليه السلام من العلاقات التي تؤكد على أهمية العمل في التشريع الإسلامي، وأنَّ العمل غاية مهمة من الغايات التي يحافظ على الأسرة من الفقر، وعلينا أنْ نتأمل في عظمة هذه العلاقة بين الإنفاق على العيال والوصول إلى رضا الله تعالى، وفي ذلك رسالة واضحة إلى أعداء الإسلام الذين يتهمون الإسلام بأنه نظام يدعو إلى الكسل وعدم العمل، وإنما هو نظام عبادي فقط، فضلاً عن بعض المسلمين الذين يجهلون تكامل التشريع الإسلامي في جميع مجالات الحياة، وأنَّ الإسلام من خلال تشريعاته الإلهية يبغي الحفاظ على الإنسان والأسرة والمجتمع من كُلِّ ضياع، سواء المادي أم المعنوي، وفي هذه الفقرة من الحديث الشريف دعوة خاصة لبيان ذلك، والتأكيد عليه، بل على التوسعة عليهم، فالإسباغ هو التوسعة، قال "ابن منظور": ((شَيْءٌ سَابِغٌ أَيْ كَامِلٌ وافٍ، وَسَبَغَت النِّعْمَةُ تَسْبُغُ بِالضَّمِّ سُبُوغًا اتَّسَعَتْ، وَأَسْبَغَ اللهُ عَلَيْهِ النِّعْمَةَ أَكْمَلَهَا وَأَتَمَّهَا وَوَسَّعَهَا، وَإِنَّهُم لَفِي سَبْغَةٍ مِنَ الْعَيْشِ أَيْ سَعَةٍ))[٦٧].

إنَّ الأسرة لها منزلة في النظام الإسلامي، وجُعِلَ لها منهج كامل لتكاملها، من خلال العلاقات القامة بين الزوجين، وعلاقة الأبناء بالأبوين، وواجبات الآباء تجاه أبنائهما، ومن تلك الواجبات التي تنظِّم الأسرة هو بيان واجبات الإنفاق عليها في جميع موارد الحياة، وإنَّ المال لا يمكن الحصول عليه إلا عن طريق العمل، والجد والمثابرة من أجل ذلك، والشريعة الإسلامية المقدسة قد بيَّنت ما يتعلق بأهمية بذل الجهد في سبيل العمل والحصول على المال الذي يصون الإنسان من الفقر والحاجة، بعد أنْ ضمن الله تعالى بتهيئة أسباب الرزق لعباده، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾[٦٨]، فالآية الشريفة تبين أنَّ الله تعالى قد تكفَّل برزق عباده، سواء أكان بسبب معيَّن أم من غيره، وكذلك يجب أنْ يسعى الإنسان في سبيل العمل وتهيئة مقدماته ومقوماته، ويمكن الإفادة من القرآن الكريم ما يشير إلى ذلك، حيث قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ

﴿لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[٦٩] فالآية ترشد الإنسان إلى آثار رحمة الله تعالى بتذليل الأرض له، والعمل عليها في صناعة أو تجارة أو زراعة وغيرها، قال الشيخ "الطبرسي" (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) فيما يتعلق بقوله ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾: ((ثُمَّ إِنْ كانَ هذا أمرُ ترغيبٍ فالمرادُ فامشوا في طلعةِ الله، وإِنْ كانَ للإباحةِ فقد أباحَ المشيَ فيها لطلبِ المنافعِ في التجاراتِ)) [٧٠]، وأرى أنها دعوة صريحة للعمل والحصول على رزق الله تعالى، للوصول إلى الكفاف في المعيشة بالنسبة له ولعياله، وقد ذكر المفسرون ما يؤيد ذلك، بالإفادة من الأرض بأنواع التصرفات الإنسانية، والتي من أهمها العمل، والسعي في تحقيقه[٧١].

وما ورد في السنة الشريفة من روايات فهي كثيرة تؤكّد على أهمية العمل، وتحصيل المال، والإنفاق على العيال، بل وبذل الجهد من أجل تحقيق ذلك، وله مقام عظيم عند الله تعالى، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: ((الْكَادُّ عَلَى عِيَالِهِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيْلِ اللهِ))[٧٢]، فالحديث ظاهر في بيان حث نصوص الشريعة المقدسة صيانة الأسرة من الضياع، ووجوب العمل من أجل النفقة عليهم بالكفاف أبتداءً، ثم التوسعة عليهم من المال الحلال، ومما ورد في الحث على بذل الطاقة والوسع في سبيل الحصول على ذلك والحفاظ على عياله ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام: ((الَّذِيْ يَطْلُبُ مِنْ فَضْلِ اللهِ مَا يَكُفُّ بِهِ عِيَالَهُ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُجَاهِدِ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ))[٧٣]، ووجه المقارنة بين طلب الرزق من أجل العيال والجهاد هو ما يتحمله الإنسان من تعب وأذى في سبيل الحصول على المال الحلال من حيث مراقبة النفس، والعمل، وعدم الركون إلى المال الحرام، وما في ذلك من جهاد عظيم للنفس، بل حذرت الروايات الشريفة من ترك العيال وعدم الإنفاق عليهم، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله: ((مَلْعُوْنٌ مَلْعُوْنٌ مَنْ يُضَيِّعُ مَنْ يَعُوْلُ))[٧٤]، فهذه الروايات وغيرها[٧٥] يُفاد منها مقام العامل في سبيل عياله، وحفظهم من الفقر، ومقامه عند الله تعالى، وأما التوسعة عليهم فقد حثت الروايات عليه، وحذرت من تركه، ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَتَّرَ عَلَى عِيَالِهِ))[٧٦]، بل عُدَّ التوسُّع على العيال أفضل من الصدقة على غيرهم على ما للصدقة من أجر عظيم جداً، وما يترتب عليها من آثار دنيوية وأخروية، وهذا ما ذكره الفقهاء في رسائلهم الفقهية، قال السيد "علي السيستاني" (دام

ظله) في مسألة (١٦٠٩): ((التَّوْسِعَةُ عَلَى الْعِيَالِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ عَلَى غَيْرِهِمْ ....))[٧٧].

إنَّ كُلَّ ما تقدم فيه دلالة واضحة على تربية النفس وكمالها نحو العمل، والإنفاق، وعدم الشُّحِّ على العيال؛ لأنهم ينظرون إلى الآباء في معيشتهم، وما في ذلك من صلاح النفس والأسرة، نحو حياة سعيدة، بإدخال السرور عليهم، فكان من ثمرة هذا العمل الوصول إلى رضا الله تعالى.

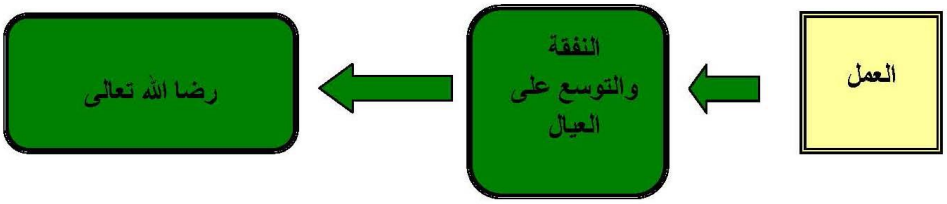

مخطط ٥ يوضح أثر النفقة والتوسع على العيال في رضا الله تعالى

المبحث السادس

علاقة الكرامة بالتقوى

قال عليه السلام: ((وَإِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَلَى اللهِ أَتْقَاكُمْ للهِ)).

إنَّ هذه العلاقة السادسة الواردة في حديث الإمام السجاد عليه السلام من العلاقات الوثيقة التي ذكرها الله تعالى لعباده في القرآن الكريم، وفيها من الآثار الإصلاحية والتربوية الكبيرة للفرد والمجتمع؛ إذ جُعل ميزان التفاضل عند الله عز وجل هو (التقوى)، وبذلك يتم تأسيس قاعدة الأفضلية عند الخالق تعالى، وفيه دعوة مهمة إلى المجتمع لتغيير رؤيته المادية في الأفضلية نحو رؤية جديدة يرشدنا الله إليها، قائمة على مصطلح مهم من المصطلحات الإسلامية التي يتم بها التعايش السلمي بين أبناء المجتمع عن طريق ترويض النفس بصفات معينة لها أثر في ذلك البناء.

قال "الراغب" في تعريف التقوى: ((حِفْظُ النَّفْسِ عَمَّا يُؤْثِمُ، وَذَلِكَ بِتَرْكِ الْمَحْظُورِ، وَيَتِمُّ ذَلِكَ بِتَرْكِ بَعْضِ الْمُبَاحَاتِ)) [٧٨]، فمنزلة التقوى ناظرة إلى مفهوم طاعة العبد للمولى، بإتيان الواجبات وترك المحرمات، وبعض المباحات كما تقدم، بل ورد أنها منزلة

خاصة للمؤمنين، تجعلهم في رعاية الله وتكريمه، قال السيد "السبزواري" في تفسيره: ((والتَّقوى معناها الحجزُ والمنعُ، وهيَ من أعلى الصفاتِ التي أُعتنى بها اللهُ تباركَ وتعالى، كما أنَّها من أجَلِّ المقاماتِ الإنسانيةِ وأرفَعِها، والتقوى تدورُ مدارَ الإيمانِ والعملِ الصالحِ.... وأدنى مرتبةِ التقوى التي يكونُ المدارُ عليها في الكتابِ والسنةِ هي إتيانُ الواجباتِ وتركُ المحرماتِ، وفوقَ ذلكَ مراتبُ ودرجاتٌ، كما في خطبةِ عليٍّ عليه السلام في وصفِ المتقينَ[٧٩]))[٨٠].

إنَّ هذه الفقرة من حديث الإمام السجاد عليه السلام قد أقتبست من القرآن الكريم، وفي ذلك كمال دعوة الثقلين – القرآن والعترة – في الإصلاح والتربية كما هو شأنهما، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٨١]، فالآية الكريمة التي أشارت إليها هذه الفقرة من الحديث تبيِّن أهم تشريعات النظام الإسلامي الكامل، فهي تدعو الناس إلى التعارف مطلقًا فضلاً عن كُلِّ أنتماء، أو أعتقاد، وفي ذلك درس بليغ من دروس الإنسانية في التعايش جميعًا من دون نفور وأعتداء فيما بينهم، وقد ورد في بيان أبعاد هذه العلاقة: ((والقرآنُ الكريمُ في حثِّه على مبدأ التعارفِ يلزمُ المسلمَ باتِّباعِ آلياتِ التعارفِ الإيجابيِّ، ويرشدهُ إلى التسلُّحِ بثقافةِ الدعوةِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، ومفهومُ التعارفِ ذو سعةٍ، يمكنُ أنْ يشملَ كُلَّ المعاني التي تدلُّ على التعاونِ والتساكنِ والتعايشِ، ويمكنُ أنْ يستوعبَ التعارفُ قِيَمَ الحوارِ، والجدالِ بالتي هيَ أحسنُ، والاحترامِ المتبادلِ))[٨٢].

قال "الفخر الرازي" في بيان ما يتعلق بالوجوه التفسيرية لقوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ : ((وفيهِ وجهانِ: أحدُهُما: إنَّ المرادَ مَنْ يكونُ أتقى يكونُ عندَ اللهِ أكرمُ، أي التقوى تفيدُ الإكرامَ .... أدنى مراتبِ التقوى أنْ يجتنبَ العبدُ المناهيَ، ويأتي بالأوامرِ، ولا يُقرُّ ولا يُأمَنُ إلا عندهما، فإنِ أتفقَ أن أرتكبَ منهيًا لا يأمَنُ ولا يتَّكلُ له، بل يتبعُهُ بحسنةٍ، ويظهرُ عليهِ ندامةٌ وتوبةٌ، ومتى أرتكبَ منهيًّا وما تابَ في الحالِ وأتَّكلَ على المُهلةِ في الأجلِ، ومنعَهُ عن التذاكرِ طولُ الأملِ فليسَ بمُتَّقٍ، أمَّا الأتقى فهو الذي يأتي بما أُمرَ به ويتركُ ما نُهِيَ عنه، وهو مع ذلكَ خاشٍ ربَّهُ، لا يشتغلُ بغيرِ اللهِ، فينوِّرُ اللهُ قلبَهُ))[٨٣].

إنَّ هذا التفسير يؤكّد مقام التقوى عند الله تعالى في الآخرة، وأثرها على السلوك الفردي والاجتماعي، فالذي يتمسك بتقوى الله تعالى تظهر آثارها في أقواله وأفعاله، بل ترى منه الصلاح والإصلاح، فلا يصيبه أي غرور بمال، أو جاه، أو أولاد وغيرها، وبذلك يكون من الذين يعملون الصالحات بأحسن وجه وأكمله، وكُلُّ ذلك له أثر كبير في بناء الشخصية الإنسانية عامة، والإسلامية خاصة، لأنه هذه الشخصية تكون مصدر عطاء للآخرين في مستويات متعددة؛ لذلك فإنَّ الله تعالى قد جعل منزلة التقوى من أعظم المنازل عنده، ولها من المقامات المتعددة، فمنها أنها مصدر المعية مع الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(٨٤)، وأنها مصدر الحب الإلهي: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾(٨٥)، وأنها مصدر أستجابة الدعاء: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(٨٦) وغير ذلك من المقامات.

والسنة الشريفة قد أكّدت مقام التقوى في كثير من الروايات الشريفة التي بيّنت ذلك، وما يتعلق بآثارها في الدنيا والآخرة، وأثرها في تربية النفس والمجتمع وصلاحهما، ومما روي عن الإمام علي عليه السلام في بيان حقيقتها وآثارها: ((إنَّ تَقْوَى الله عِمَارَةُ الدِّيْنِ، وَعِمَادُ اليَقِيْنِ، وَإِنَّهَا لَمِفْتَاحُ صَلاحٍ، وَمِصْبَاحُ نَجَاحٍ))(٨٧)، وقوله عليه السلام: ((إنَّ تَقْوَى الله مِفْتَاحُ سَدَادٍ، وَذَخِيْرَةُ مَعَادٍ، وَعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ، بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ، وَيَنْجُوْ الْهَارِبُ، وَتُنَالُ الرَّغَائِبُ))(٨٨)، إنَّ في هذين الحديثين الشريفين دلالة واضحة على عظمة التقوى في تربية الإنسان تربية صالحة مستقيمة، يستطيع من خلالها أنْ يتغلب على النفس الأمارة بالسوء، بل يكون أسوة صالحة للآخرين في المجتمع، فهي مفتاح صلاح الإنسان وتحرره من عبودية الذات واللذات، وبها يرى حقيقة الأشياء فيكون عمله موافقًا لمنهج واضح السبيل، نحو نجاح مضمون، وهذا المكاسب غاية كُلِّ إنسان عاقلٍ في الدنيا، فضلاً عن الآخرة وهي سبيل نجاح العلاقة مع الآخرين، كونها غير قائمة على الأنانية، وحب النفس، وغلبة الآخرين، والاعتداء عليهم، وبذلك يُعْتَقُ الإنسان بهذا الخُلُقِ من كُلِّ صفة ذميمة، فردية أو نوعية، فينجو من هلاك رذائل الأخلاق التي تدعوه نحو الاعتداء على الحرمات، والنظام الإلهي الذي جعله الله تعالى لسعادة البشرية ونجاتها من كُلِّ أنحراف، وبها يحصل على أعظم المكاسب والمنازل بالأخلاق الفاضلة الكريمة، التي تظهر آثارها في كُلِّ قولٍ وفعلٍ وأثرٍ، وهذه إحدى غاية تربية الأمة بل أعظمها، وهناك روايات كثيرة في بيان

ما يتعلق بالتقوى وآثارها من جوانب متعددة[٨٩].

إنَّ ما تقدم فيه بيان مهم - إجمالاً - عن أثر وعظمة هذه المنزلة في تهذيب النفس وتربيتها، وبيان أثرها في صلاح الفرد والمجتمع، وبناء إنسان قائم على حب الخير والحق ومعونة الآخرين، ونبذ الشر والباطل وأذى الآخرين، وهذا بعض ما تدعوه هذه الفقرة المباركة لحديث الإمام السجاد عليه السلام وما فيها من معانٍ سامية عظيمة، وكُلُّ ذلك إنما يتقوَّم بالعلم والعمل، فلا يمكن الإنسان أنْ يصل إلى هذه المنزلة ما لم يعرف حقيقتها، وما يتعلق بها وبآثارها، فضلاً عن تجسيد ذلك في سلوكه الفردي والاجتماعي الذي يُظهر ثمارها في بناء الشخصية الإسلامية التي تجعل من العقل أداة في الوصول إلى طاعة الله تعالى، فضلاً عن صراعها المستمر مع الشهوة التي تريد أنْ تتحقق رغباتها، فالتقوى تجعل العقل في هذه الشخصية بمثابة القائد الذي تسير خلفه وبإمرته الشهوات والحواس، وهذا ما أشار إليه الباحثون في علم النفس الإسلامي، فقد ورد أساس بنية تكوين الشخصية الإسلامية أنها تتألف من عاملين رئيسين هما العقل والشهوة، والعقل ذو بُعدين، مطبوع ومسموع، والمطبوع هو الذي العقل الطبيعي الفطري والوجداني، وأما المسموع فهو القائم على التجربة والاكتساب، وفي الأول نرى الصراع بين الطاقة الكامنة في العقل مع الشهوة[٩٠].

فمنزلة التقوى هي التي تجعل العقل لا يتأثر بتلك الشهوات واللذات المحرمة أولاً، ثم الفضول ثانيًا، فلا تتأثر هذه الشخصية بالإغراءات على الرغم من ضغط الشهوات عليه، وقد ورد في بيان هذا الصراع: ((كُلَّما تهيمنُ الشهوةُ على الشخصيةِ بأسرِها تضعفُ الفطرةُ، وينشأُ ضعفُ الفطرةِ من الحُجُبِ التي تتكوَّنُ نتيجةَ سيادةِ الشهوةِ وتسلُّطِها، وتتوقَّفُ صفاقةُ هذهِ الحُجُبِ وقدرتُها على قدرةِ الشهوةِ، ومدى هيمنتِها على الشخصيةِ بأسرِها))[٩١].

إنَّ حديث الإمام السجاد عليه السلام ذو دلالة واضحة على مقام منزلة التقوى بصورة عامة وأثرها في تربية الإنسان، وصلاح الأمة، وما يترتب على ذلك من آثار نافعة على المستويين الفردي والجماعي، وهذا يقوم على التفاني في العمل، وترك الغرور بما يملكه من لذات فانية زائلة، بل هي دعوة صريحة منه عليه السلام بالتحلي بلباس التقوى الذي هو خير لباس للمؤمن، كما قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[٩٢]، للفوز بكرامة الله تعالى، وإنَّ مَنْ يلتزم هذا

الصراط يكون على حظ عظيم عند الله تعالى.

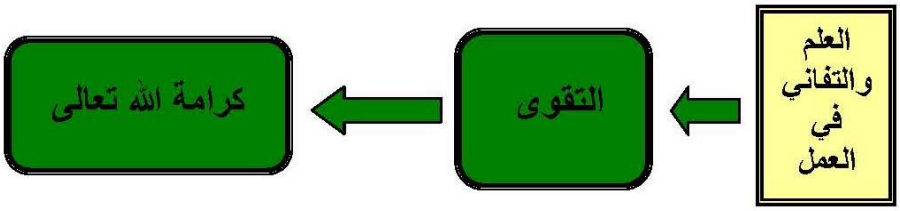

مخطط ٦ يوضح أثر التقوى في كرامة الإنسان عند الله تعالى

ختامًا إننا بعد هذه السياحة الروحية في الحكمة العلمية والعملية التي تضمنها هذا الحديث الشريف عند الإمام زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام نكون قد أطلعنا على منهج تربوي إصلاحي متكامل للفرد والمجتمع، له آثار كبيرة ومهمة لتحقيق سعادة الإنسان في الدارين، ومن أهم ما رأيناه في حديثه عليه السلام تطابق الدعوة بين القرآن والسنة الشريفة في نظرتها العظيمة للإنسان عمومًا، ولمن تمسك بالشريعة المقدسة خصوصًا.

ومن أهم مميزات هذا الحديث التي رأيناها هو ما ورد في أسلوبيته المباركة، من حيث أستعماله التوكيد، والمفاضلة، عند بيانه لتلك الفضائل والمقامات، فقد وردت (إنَّ) مرات ست، كلها تؤكد أمرًا عظيمًا يجب على الإنسان أنْ يعرفه أولاً، ليعمل به ثانيًا، ثم يتعاهده ليكون نهجه في الحياة ثالثًا، والتوكيد يدل على عظمة هذه المنزلة، ومقامها، وشرفها، كما هو واضح عند العرب، ووردت ألفاظ صيغ المبالغة في أثني عشر موضوعًا كلها تبغي التربية والإصلاح للفرد والأمة، فجاءت متسلسلة في منهج تربية الذات والجمع، ولو تأملنا تلك لرأينا أستقامة المنهج (أَحَبُّكُمْ، أَحْسَنُكُمْ، أَعْظَمُكُمْ، أَعْظَمُكُمْ، أَنْجَاكُمْ، أَشَدُّكُمْ، أَقْرَبُكُمْ، أَوْسَعُكُمْ، أَرْضَاكُمْ، أَسْبَغُكُمْ، أَكْرَمُكُمْ، أَتْقَاكُمْ).

ولو درسنا كُلَّ لفظة من حيث المعنى الذي ينطوي فيها دراسة عميقة لرأينا قوة الدعوة التي تكمن فيها نحو الصلاح، والثورة على الذات، ثورة مهذبة، ذات منهج ورؤية شاملة، بعيدة عن الهيجان والفوضوية، بل في أعلى درجات الكمال التربوي والأخلاقي، وهذا يحتاج إلى دراسة تربوية خاصة نأمل أنْ يعني بها تربويون مختصون للخروج بنتائج علمية

دقيقة في مجال تربية الإنسان وتحصينه من الضياع.

فالعلاقات الواردة في هذا الحديث قد هيأت إلى منظومة تربوية إصلاحية متكاملة الأصول، فهي تدعو إلى علاقة الإنسان بخالقه وما يترتب عليها عقائديًا وعمليًّا، وعلاقة الإنسان بذاته وما فيها من تربية وتهذيب للنفس البشرية، وعلاقة الإنسان بأسرته وما فيه من محافظة على الأسرة مما يهدد كيانها، وعلاقة الإنسان بالأمة وما فيه من إصلاح أجتماعي عظيم.

نسأل الله تعالى أنْ يتقبل مِنَّا بأحسن قبوله، وأنْ يوفِّقَنا للعلم والعمل، وتربية أنفسنا، وتهذيبها من رذائل الأخلاق ما ظهر منها وما بطن، إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

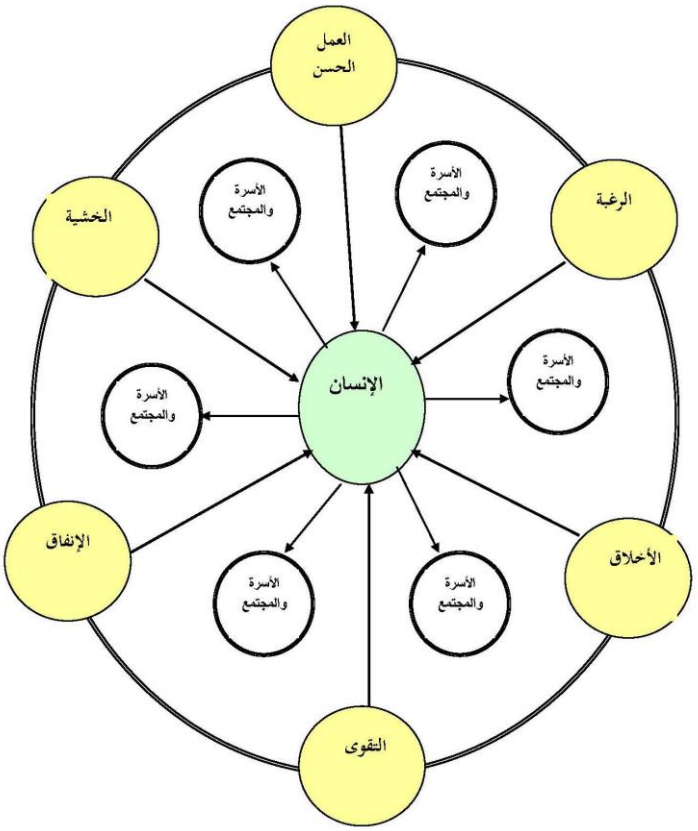

خاتمة وتوصيات.

من خلال ما تقدم من صفحات البحث توصلنا إلى ما يأتي:

- إنَّ الإنسان هو محور أعتناء الشريعة الإسلامية المقدسة، في جميع تشريعاتها في العبادات والمعاملات، وكلها تبغي هدف تحقيق السعادة الشخصية والنوعية له.
- إنَّ الشريعة الإسلامية المقدسة قد أكدت بوضوح تام على أهمية التربية وتهذيب النفس عن رذائل الأخلاق من خلال الآيات المباركة والأحاديث الشريفة، بما يلائم الفطرة الإنسانية، وما يؤكده العقل السليم من العقائد المنحرفة.
- أهمية المنهج الإسلامي في بناء الشخصية الإنسانية، كونه منهجًا إلهيًّا صادرًا من قبل الخالق الحكيم الأعرف بما يحافظ على مخلوقه من الضياع والانحراف.
- إنَّ علماء المسلمين والفلاسفة قد أعتنوا بالمباحث الأخلاقية من جميع جوانبها، بما له علاقة بتهذيب النفس، وهذا رصيد معرفي كبير يمكن للبشرية الإفادة منه في صلاح الأمة، بعدما أصابتها تلك الانحرافات الأخلاقية التي تخالف فطرتها.
- إنَّ للإمام السجاد عليه السلام تراثًا تربويًا كبيرًا ينبغي دراسته دراسة تخصصية تحليلية لمضامين أقواله وأدعيته ووصاياه ورسالته للحقوق، للخروج بآراء ونتائج لها أثر بالغ في بيان طرق علاج الأمراض الأخلاقية، وبما يعد منهجًا أخلاقيًا متكاملاً.
- إنَّ هذه الدراسة تجعل الباب مفتوحًا للباحثين لينهلوا من هذا المعين الصافي الذي يعالج النفس الإنسانية والمجتمع من الناحيتين النظرية والعملية، حيث وجود أحاديث كثيرة تنفع في بحوث تربوية وأخلاقية وإصلاحية، قد أطلع عليها الباحث فاختار واحداً منها.
- يوصي الباحث بضرورة دراسة الفكر التربوي لأئمة أهل البيت عليهم السلام؛ لأنهم عِدْلُ القرآن الكريم الذي ينجي مَنْ تمسك بهم من الضلال والانحراف العقائدي والأخلاقي.
- يوصي الباحث بأهمية جمع الأحاديث التربوية لأئمة أهل البيت عليهم السلام وترجمتها إلى

لغات متعددة؛ لإفادة البشرية منها، فضلاً عن بيان مقامهم وأثرهم في الهداية والتربية والإصلاح.

- يوصي الباحث بوجوب تضمين المناهج الدراسية لهذه الأحاديث التربوية، لبناء جيل له علاقة بتراث أمته العظيم، فضلاً عن تربيته تربية عقائدية إسلامية، والحفاظ عليه من المذاهب المختلفة التي تتعارض مع الشريعة المقدسة في بعض المناهج.

هوامش البحث

(١) سورة الإسراء: الآية ٩

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧

(٣) تركية، بهاء الدين خليل: علم الاجتماع العائلي ص٨٩

(٤) سورة التحريم: الآية ٦

(٥) سورة آل عمران: الآية ١١٠، وقد ذكرتُ آيةً واحدةً كمثال لاعتناء التشريع الإسلاميِّ بالفردِ والأسرةِ والمجتمع، والقرآنُ أغلبُهُ إنْ لم يكنْ كُلُّهُ قد نظَّمَ أُسُسَ العلاقاتِ عندَ الثلاثة.

(٦) إنَّ هناك أحاديث كثيرة وردت في ذلك، ومنها ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في بيان حقوق سبعة من حقوق المسلم على المسلم يجب أنْ يحافظ عليها، وإلا خرج من ولاية الله تعالى، وهذه الحقوق - حقيقة - من أعظم مفردات التربية الفردية والاجتماعية في النظام الإسلامي. ينظر: الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي ١٦٩/٢ باب (حق المؤمن على أخيه وأداء حقه) الحديث ٢.

(٧) حسين محمد علي طاهر، علم النفس في رحاب القرآن الكريم والنبي محمد وأهل بيته الطاهرين ص٦٤-٦٥.

(٨) ينظر: علم الاجتماع العائلي ص٩٠.

(٩) الناصري، محمد: العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية ص٣٧١.

(١٠) أحمد علي الحاج محمد: علم الاجتماع التربوي المعاصر ص٥٩.

(١١) ومن المؤلفات والبحوث المعاصرة التي يمكن مراجعتها في ذلك لبيان تنظيم تلك العلاقات على وفق التشريع الإسلامي مثلاً (الطفل بين الوراثة والتربية، والشباب بين العقل والعاطفة للشيخ محمد تقي فلسفي) و(آداب الأسرة في الإسلام للسيد محمد سعيد العذاري) و(دور العقيدة في بناء الإنسان للأستاذ عباس ذهبيات) وغيرها من المؤلفات المتعددة، المطولة أو الموجزة.

(١٢) أندريه كريسون: المشكلة الأخلاقية والفلسفية ص٢٨٠.
(١٣) الحراني، الحسن بن شعبة: تحف العقول عن آل الرسول ص١٩٩.
(١٤) للتفصيل في كيفية تكييف الإنسان في مجتمعه ينظر: علم الاجتماع التربوي المعاصر ص٨٤-٨٥.
(١٥) ينظر مثلاً: سورة البقرة: الآيات ٢٥، ٨٢، ٢٧٧ ، سورة آل عمران: الآية ٥٧ ، سورة النساء: الآيات ٥٧، ١٢٢، ١٧٣ ، سورة المائدة: الآيتان ٩، ٩٣ ، سورة الأعراف: الآية ٤٢.
(١٦) سورة التوبة: الآية ١٠٥.
(١٧) سورة الزلزلة: الآيتان ٧ - ٨.
(١٨) سورة النحل: الآية ٩٧.
(١٩) سورة الأحقاف: الآيتان ١٣- ١٤.
(٢٠) وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ سورة المائدة: الآية ٢٧.
(٢١) تحف العقول ص٢٠٢.
(٢٢) الصحيفة السجادية، ص٥٢-٥٣.
ومما يجدر الإشارة إليه أنَّ هذا المقطع هو من أدعيته عليه السلام عند الصباح والمساء، وهذا يدل على أنَّه منهج تربوي للإنسان في أنْ يجعل العمل، والجهاد للنفس، والتربية، والإصلاح غايته في كُلِّ يوم، فأيُّ صلاح عظيم سيتحقق في الأرض على المستوى الفردي والجماعي من خلال ذلك، وهذا ما يوجِب علينا دراسة تلك الأدعية دراسة تحليلية، وليس مجرد قراءتها طلبًا للثواب الأخروي، وإنما أنْ تكون نهج حياة قويمة لمن أراد الخير والصلاح لنفسه ولغيره. وقد كتبت في ذلك بحثًا بينت فيه الملامح التربوي المستوحاة من دعائه عليه السلام في مكارم الأخلاق. ينظر: الكاظمي، عماد: قراءة تربوية إصلاحية في أدعية الصحيفة السجادية - الإنسان القدوة في دعاء مكارم الأخلاق-.
(٢٣) سورة الأنبياء: الآية ٩٠
(٢٤) سورة التوبة: الآية ٥٩
(٢٥) سورة البقرة: الآية١٣٠
(٢٦) الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن ص ٢٠٦ (رغب).
(٢٧) الطريحي، فخر الدين: مجمع البحرين ٧١/٢ (رغب).
(٢٨) الصحيفة السجادية، ص٢٦١.
(٢٩) سورة البينة: الآية ٧
(٣٠) المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ص٨٦.
(٣١) سورة الأعراف: الآية ٩٦.
(٣٢) سورة فاطر: الآية ٢٨.
(٣٣) المفردات في غريب القرآن ص١٥٥ (خشي).

(٣٤) الآمدي، عبد الواحد بن محمد: غرر الحكم ودرر الكلم ص٢٢٥.
(٣٥) المصدر نفسه، ص١١٢.
(٣٦) المفردات في غريب القرآن ص١٦٨ (خوف).
(٣٧) سورة المؤمنون: الآية ٥٧.
(٣٨) مجمع البحرين ١٢٣/١-١٢٤ (خشي).
(٣٩) علي بن محمد: التعريفات، ص٩٨.
(٤٠) ميزان الحكمة ٨٢٤/٢ باب (الخوف) الحديث ٥١٨٧.
(٤١) العلامة المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار ٢٠٣/٤٢.
(٤٢) سورة الرحمن: الآية ٤٦.
(٤٣) سورة الحج: الآية ٣٥.
(٤٤) سورة الأنبياء: الآية ٩٠.
(٤٥) سورة آل عمران: الآية ٢٨.
(٤٦) محمد بن علي: الخصال ص٣٨١ - ٣٨٢.
(٤٧) سورة القلم: الآية ٤.
(٤٨) المفردات في غريب القرآن ص١٦٤ (خلق).
(٤٩) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ص١١٥.
(٥٠) محمد مهدي: جامع السعادات ٤٦/١.

إنَّ الشيخ قد عبَّر عن الخُلُق بالمَلَكَة، ثم بيَّن مفهوم الملكة بأنها كيفية نفسانية بطيئة الزوال، وبهذا فهو يتحدث عن الخُلُق بالمعنى الأخص الذي له علاقة بالأخلاق من الناحيتين النظرية والعملية، وليس عن مطلق الخُلُق، لذلك فإنَّ "أبن مسكويه" قد عقَّب بعد تعريفه المتقدم بأنها تنقسم على قسمين، منها ما يكون طبيعيًا، ومنها ما يكون بالعادة والتدريب حتى يصير مَلَكَةً وخُلُقًا. ينظر: ص١١٥

وأرى أنَّ كُلَّ ما ورد في حديث الإمام السجاد عليه السلام هو من القسم الثاني، الذي يحتاج إلى العلم أولاً، وإلى مجاهدة النفس ثانيًا، لنراه مَلَكَةً ثابتةً بعد ذلك.

(٥١) جامع السعادات ٣٦/١.
(٥٢) الشيرازي، ناصر مكارم: الأخلاق في القرآن الكريم ١٥/١.
(٥٣) ينظر: تذهيب الأخلاق وتطهير الأعراق ص١١٧-١٢٠، جامع السعادات ٥٧/١.
(٥٤) أكرم مطلك محمد: الأخلاق والدين بين فلسفة الانغلاق والانفتاح دراسة في كتاب "منبعا الأخلاق والدين: للفيلسوف الفرنسي هنري برجسون ص٧٥.
(٥٥) سورة الجمعة: الآية ٢.
(٥٦) محمد بن الحسن: التبيان في تفسير القرآن ٤/١٠.

(٥٧) المفردات في غريب القرآن ص٢٢٠ (زكا).
(٥٨) عبد الأعلى الموسوي: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٣٩/٢-٤٠.
(٥٩) الناصري، محمد: العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية، ص١٦٠.
لا يخفى أنَّ الشريعة الإسلامية منظومة أخلاقية كاملة لصلاح البشرية لو تم الالتزام بتعاليمها كما أمر الله تعالى، وإنَّ هذا من أهم الأسباب الذي أدى بالقوى الاستكبارية والصهيونية العالمية على إيجاد وصنع مجموعات منحرفة تحت أسماء منظمات إسلامية أصولية، تهدف إلى تطبيق الشريعة الإسلامية بصورة وحشية وأنتقامية، من أجل تشويه الصورة العظيمة للإسلام وتعاليمه، خوف سيطرة تعاليم الإسلام على أئمتهم الوضعية المتناقضة، التي ثبت فشلها في الجوانب الإنسانية، إذ لتلك الأنظمة مناهج للقضاء على الملايين من البشرية من أجل تحقيق أهدافها التسلطية الاستعمارية.
(٦٠) علم النفس في رحاب القرآن الكريم ص٧١
(٦١) مجتبى الموسوي: دراسة في المشاكل الأخلاقية ص١٢
(٦٢) سورة القلم: الآية ٤
(٦٣) المتقي الهندي، علاء الدين: كنز العمال ١٦/٣
(٦٤) الحراني، الحسن بن شعبة: تحف العقول ص٣٨
(٦٥) الميرزا النوري، حسين: مستدرك الوسائل ١٩٣/١١
(٦٦) دراسة في المشاكل الأخلاقية ص٥٢
(٦٧) لسان العرب ٤٣٢/٨ مادة (سبغ). وينظر: المفردات في غريب القرآن ص٢٢٩
(٦٨) سورة هود: الآية ٦
(٦٩) سورة الملك: الآية ١٥
(٧٠) الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن ٧٦/٩
(٧١) ينظر: الطباطبائي، محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن ٣٧٣/١٩
(٧٢) الحر العاملي، محمد بن الحسن: وسائل الشيعة ٦٧/١٧ باب (وجوب الكد على العيال من الرزق الحلال) الحديث ١
(٧٣) المصدر نفسه، الحديث ٢
(٧٤) الصدوق، علي بن الحسين: من لا يحضره الفقيه ١٦٨/٣
(٧٥) ينظر: المصدر نفسه ١٦٦/٣-١٦٨
(٧٦) أبن أبي جمهور الإحسائي، محمد بن علي: عوالي اللئالي ٢٥٥/١
(٧٧) منهاج الصالحين ٤٢٦/٢
(٧٨) المفردات في غريب القرآن ص٥٥٥ (وقى).

(٧٩) خطبة المتقين من نفائس الخطب الواردة عن الإمام علي عليه السلام، وقد قال في بيان صفاتهم: ((فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ، مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الاقْتِصَادُ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ، غَضُّوْا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوْا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ ....)). الشريف الرضي: نهج البلاغة ١٦٠/٢-١٦٥

(٨٠) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٦٣/١

(٨١) سورة الحجرات: الآية ١٣

(٨٢) العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية ص١٠٨

(٨٣) التفسير الكبير ١١٤/٢٨

(٨٤) سورة البقرة: الآية ١٩٤

(٨٥) سورة آل عمران: الآية ٧٦

(٨٦) سورة المائدة: الآية ٢٧

(٨٧) نهج البلاغة ٢٢٣/٢

(٨٨) نهج البلاغة ٢٢٣/٢

(٨٩) ينظر: ميزان الحكمة ٣٦٢٤/٨-٣٦٤٩ باب (التقوى).

(٩٠) ينظر: الحسيني، أبو القاسم: دراسة في علم النفس الإسلامي، ص٤٤.

(٩١) دراسة في علم النفس الإسلامي، ص٤٦.

(٩٢) سورة الأعراف: الآية ٢٦.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- أحمد علي الحاج محمد (الدكتور): علم الاجتماع التربوي المعاصر، (دار المسيرة، عمّان، ط٢، ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م).

٢- أكرم مطلك محمد (الدكتور): الأخلاق والدين بين فلسفة الانغلاق والانفتاح دراسة في كتاب "منبعا الأخلاق والدين: للفيلسوف الفرنسي هنري برجسون، (الناشر: بيت الحكمة، بغداد، ط١، ٢٠١٢م، د.مط).

٣- الآمدي، ناصح الدين أبو الفتح عبد الواحد بن محمد التميمي (ت٥٥٠هـ/١١٥٥م): غرر الحكم ودرر الكلم، ترتيب وتدقيق: عبد الحسن دهيني، (دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

٤- أندريه كريسون: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ترجمة وتعليق: د. عبد الحليم محمود، (مط دار الرشاد، ٢٠٠٤م، د.ط، د.م).

٥- تركية، بهاء الدين خليل: علم الاجتماع العائلي، (دار المسيرة، عمّان، ط١، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م).

٦- الجرجاني، علي بن محمد (٨١٦هـ/١٤١٣م): التعريفات، تصحيح: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م).

٧- آبن أبي جمهور الإحسائي، محمد بن علي بن إبراهيم (ت٨٨٠هـ/١٤٧٥م): عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، تح: آقا مجتبى العراقي، تق: السيد شهاب الدين النجفي المرعشي، (ط١، قم، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، د.مط).

٨- الحراني، الحسن بن شعبة (ت ق٤): تحف العقول عن آل الرسول، تقديم حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٧، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م).

٩- الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ/١٦٩٣م): تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تح: مؤسسة آل البيت "عليهم السلام" لإحياء التراث، (مط مهر، الناشر: مؤسسة آل البيت "عليهم السلام" لإحياء التراث، قم، ط٢، ١٤١٤هـ).

١٠- حسين محمد علي طاهر (الدكتور)، علم النفس في رحاب القرآن الكريم والنبي محمد وأهل بيته الطاهرين، (الناشر: مركز الدكتور حسين الطاهر للاستشارات النفسية، الكويت، ط١، ٢٠١٣م).

١١- الحسيني، أبو القاسم (الدكتور): دراسة في علم النفس الإسلامي، ترجمة: ناصر النجفي، (مط الأستانة الرضوية المقدسة، مشهد، ط١، ١٤٢٦هـ).

١٢- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م): المفردات في غريب القرآن، ضبط: هيثم طعيمي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م).

١٣- الريشهري، محمد: ميزان الحكمة، تح: دار الحديث، (دار الحديث، الناشر: دار الحديث، قم، ط٢، ١٤١٦هـ).

١٤- زين العابدين، علي بن الحسين (الإمام): الصحيفة السجادية، تق: محمد باقر الصدر، (مط رسول، قم، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م).

١٥- السبزواري، عبد الأعلى بن علي (السيد) (ت١٤١٤هـ/١٩٩٣م): مواهب الرحمن في تفسير القرآن (مط الديواني، بغداد، د.ط، د.ت).

١٦- السيستاني، علي الحسيني (السيد)، منهاج الصالحين، (مط مهر، قم، ط١، ١٤١٤هـ).

الشريف الرضي، محمد بن الحسين (ت٤٠٦هـ/١٠٦٨م): نهج البلاغة، شرح: الشيخ محمد عبده، (مط النهضة، الناشر: دار الذخائر، قم، ط١، ١٤١٢هـ).

١٧- الشيرازي، ناصر مكارم: الأخلاق في القرآن، (مؤسسة أم أبيها، بغداد، ط١، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م).

١٨- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي (الشيخ) (ت٣٨١هـ/٩٩١م): الخصال، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قمن ١٤٠٣هـ، د.ط).

١٩- ــــــــــــ، من لا يحضره الفقيه، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، (منشورات جماعة المدرسين، قم، ط٢).

٢٠- الطباطبائي، محمد حسين بن محمد (السيد) (ت١٤٠٣هـ١٩٨٢م): الميزان في تفسير القرآن، تص: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م).

٢١- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (الشيخ) (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م): مجمع البيان في تفسير القرآن، تح: لجنة من العلماء والمحققين، قدَّم له: السيد محسن الأمين العاملي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م).

٢٢- الطريحي، فخر الدين بن محمد علي (ت١٠٨٥هـ/١٦٧٤م): مجمع البحرين ومطلع النيرين، تح: السيد أحمد الحسيني، (مط جايخانه طراوت، طهران، ط٢، ١٣٦٢ش).

٢٣- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (الشيخ) (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م): التبيان في تفسير القرآن، تح و تص: أحمد حبيب قصير العاملي، (مط مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ).

٢٤- الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين (ت٦٠٤هـ/١٢٠٧م): التفسير الكبير، تص: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م).

٢٥- الكاظمي، عماد: قراءة تربوية إصلاحية في أدعية الصحيفة السجادية - الإنسان القدوة في دعاء مكارم الأخلاق-، (منشورات معالم الفكر، بيروت، ط١، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م).

٢٦- الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ/٩٤١م): الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، (مط حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٤، ١٣٦٥ش).

٢٧- اللاري، مجتبى الموسوي: دراسة في المشاكل الأخلاقية، تعريب: محمد هادي اليوسفي الغروي، (مك مكتب نشر الثقافة الإسلامية، قم، ط٥، ١٤٢٥هـ).

٢٨- المتقي الهندي، علاء الدين المتقي بن حسام الدين (ت٩٧٥هـ/١٥٦٧م): كنز العمال، تصحيح: الشيخ صفوة الصفا، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، د.ط).

٢٩- المجلسي محمد باقر (ت١١١١هـ/١٦٩٩م): بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، (دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

٣٠- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرَّم (ت٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، (دار صادر، بيروت، ط١، د.ت).

٣١- الناصري، محمد: العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية، (دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).

٣٢- النراقي محمد مهدي (الشيخ) (ت١٢٠٩هـ/١٧٩٥م): جامع السعادات، تحقيق وتعليق: السيد محمد كلانتر، تقديم: الشيخ محمد رضا المظفر، (دار النعمان للطباعة والنشر، النجف، د.ط، د.ت).

٣٣- النوري، حسين (الميرزا) (١٣٢٠هـ/١٩٠٢م): مستدرك الوسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).